الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها
مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص لسانيات عامة

التقديم والتأخير دراسة نحوية بلاغية

سورة البقرة نموذجا

إعداد الطالبة: تحت إشراف الدكتور :

❖ بوكليخة فاطمة - زروقي

معمر

اللجنة المناقشة

الأستاذ : . عباس محمد

الاستاذ : . زروقي معمر.....مشرفا

الأستاذ : . تامي مجاهد .....

السنة الجامعية :**1439هـ/1440هـ**

2018م/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد لله ربّ العالمين ، و الشّكر لجلاله سبحانه و تعالى الذّي أعانني على إنجاز هذه المذكّرة . رغم أنَّ عبارات الشّكر و الإمتنان تكاد تكون عاجزة في هذا المقام عن إفاء الغرض المنشود إلّا أنّي أتقدّم بأسمى كلمات الشّكر و الإمتنان للأستاذ الفاضل " زروقي معمر " على مجهوده الذّي بذله في سبيل إخراج العمل على ماهو عليه و كذا توجيهاته السّديدة و القيمة التّي أفادتني كثيراً فجزاه الله خيراً في الدّنيا و الآخرة . و كذا أتوجّه بشكري و إحترامي لجميع أساتذتي الكرامي الذّين رافقوني طوال مشواري الدّراسي و أوصلوني إلى ما أنا عليه اليوم .

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من ملكت حواسي وإحساسي و إحتوت عقلي و أفكاري و هامت بها نفسي و أنفاسي إلى من غرست حبّ الله في فؤادي و رسخت عقيدة التّوحيد في أعماقي . و إلى رمز العطاء و صدق الإيباء إلى ذروة العطف و الوفاء لك يا أجمل حوّاء ، أنت أمّي الغالية أطال الله في عمرك .

إلى النّجم السّاري في سما أفقي إلى الله الذّي يسكن في أعماقي منبع الخير الدافق الذّي غمرني بحنانه و عطفه و شملني بحبّه و كرمه ، إلى من أرفع رأي عالياً إفتخاراً به ، إليك يا قدوتي الأولي أبي الحبيب الغالي رحمك الله و أسكن فسيح جنانك ، و إلى أبي الذّي ربّاني أطال الله في عمره و حفظه لي .

إلى جدتي حفظها الله لي و أمي الثانية مختارية.

إلى جدي رحمه الله .

إلى أخواتي :فاطيمة الزهراء و إيمان و أخي العزيز بشير .

إلى أختي التّي لم تلدها أمي سعاد و حفظ الله لها إبنها و زوجها.

إلى صديقتي العزيزة التي كانت دوما معي نور الهدى و زوجها و إبنتها التي هي في الطريق .

إلى أستاذي المشرف " زروقي معمر " الذّي أتمنّى له كلّ السّعادة .

و إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد .

إلى كل من ذكرهم القلب و نسيهم القلم .

المدخل

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على رسوله الكريم و على آله و صحبه ، و من تبعهم الى يوم الدين ,أما بعد :

فتسير الجملة العربية على نسق معين في ترتيب مكوناتها ، و لكل عنصر من عناصرها التركيبية رتبة خاصة ، و إذا جاءت على خلاف الأصل في الترتيب ، عدّ ذلك خروجا على أصل الرتبة المحفوظة ، و ما جاء على الأصل لا يُسْأل عنه ، و إذا جاء على خلافه ، لا بد من سبب و مسوغ لقبوله و الحكم على فائدته و حسنه في النظم . و اذا لم يحقق التقديم و التأخير معنى من معاني الكلام و دلالاته ، عدّ ذلك من باب الغموض و التعقيد الذي يفقد النص قيمته البلاغية ،و سبباً من أسباب عدم فصاحته .

و هذه الدّراسة تتناول مسألة التقديم و التأخير ، إذ حاولت فيها الكشف عن مظاهر التقديم و التأخير ، و مواقف العلماء مع إستشهادهم ببعض من المثل العربي . و قد سعت هذه الدراسة إلى تحليل الأمثال للوقوف على ما وراء تلك الظاهرة من دلالات و معان ؛إذ إن التقديم و التأخير لا بد أن يتوافقا مع القاعدة النحوية و يخضعا لسلطانها ، غير أنه لا بد أن يحملا في طياتهما دلالات بلاغية هي أحد المعايير التي اعتمدها العلماء في قياس بلاغة النص و فصاحته و قبوله أو رفضه ، فإذا لم يحقق التقديم و التأخير معنى بلاغيا عد ذلك سببا لفساد النظم .

وقد إرتأيت أن يكون الموضوع تحت عنوان : " التّقديم و التّأخير دراسة نحويّة بلاغيّة "و ذلك لأسباب منها: شيوع ظاهرة التقديم و التّأخير في الدرس اللغوي استشهادا على القاعدة النحوية، أو تأصيلا لها أو خروجا عليها ، و قلة الدراسات التي تناولت ظاهرة التقديم و التأخير وخاصة في المثل العربي ، و اختلاف العلماء في التعامل مع البعض من الأمثال في بناء القاعدة ؛ إذ ذهب فريق منهم إلى أنها من الرتب المحفوظة ،بينما حاول آخرون تطويع ما جاء على خلاف الأصل للقاعدة النحوية بالتأويل و التقدير .

و التّحفيز و التّشجيع الذّي وجّه إليَّ من طرف : " الدّكتور المحترم زروقي معمّر " رئيس قسم اللّغة العربيّة و آدابها ، و الذّي كان مجرّد اقتراحاً للإحتكاك بقواعد اللّغة العربيّة .

و قد اعتمدت على ثلاثة كتب إستشهدت بها في المثل العربي هي :

1- كتاب الأمثال للأصمعي المتوفي سنة 212 ه .

2- كتاب جمهرة الأمثال للعسكري المتوفي سنة 395 ه .

3- كتاب مجمع الأمثال للميداني المتوفي سنة 518 ه.

و مجموعة من الكتب ، التّي كان لها الفضل الكبير في صيّاغة هذا البحث المتواضع .

و قد بينت الدراسة أنَّ ظاهرة التقديم و التأخير ، و غالبا ما يكون ذلك استجابة للقاعدة نحوية ، أو تحويرا لمعنى مقصود ، فيكون التقديم إما للعناية و الإهتمام ، أو للتخصيص ، أو لتعجيل المسرة ؛ أو غير ذلك من المسوغات ، و غالبا ما يكون العنصر المتقدم بؤرة محورية في تشكيل الدلالة ، فيكون الانزياح التركيبي لتأليف معنى هو مقصود في المثل ، و تتعاضد العناصر التركيبية في مختلف مواقعها في إبرازه ، و لهذا كثيرا ما يكون الخروج على الرتبة المحفوظة مقترنا بدلالة جديدة ، فعندما نظر النحاة في ذلك حاولوا تسويغ الخروج على مقتضى الاصل الافتراضي ، في ترتيب عناصر الجملة ، بينما حاول البلاغيون استشراف المعاني و الدلالات ؛ لتكتمل نظرتهم في ربط المعنى بالنظم .

و المنهج الذي سرت عليه ، يتمثل في حصر مواضع التقديم و التأخير و انتقاء ما يكشف عن الظاهرة من المواضع دون استقصائها ، و تحليل ذلك لمعرفة ما وراء ذلك من دلالات و معان لتحديد محورية العنصر المتقدم ، و هامشية العنصر المتاخر في تشكيل الدلالة و بناء المعاني ، و إن كانا – اي العنصران المتقدم و المتأخر – يهمانهم و يعنيانهم و يتعاضدان في بناء لغة النص و دلالته و من هنا

تطرح الإشكاليات التالية : كيف تدرس ظاهرة التقديم و التأخير عند النحويين و البلاغيين ؟ و ما هي حالات التقديم و التأخير ؟ .

و قد اعتمدت على خطة البحث التّالية :مقدّمة يليها مدخل ثمّ ثلاثة فصول ، الفصل الأول :المعنون ب جهود النّحويين و البلاغيين في دراسة التّقديم و التّأخير و قد تناولت فيه مبحثين (الأولجهود النّحويين في دراسة التّقديم و التّأخير عند القدامى و المحدثون، و الثّاني : جهود البلاغيين عند القدامى و المحدثون) ،أمّا الفصل الثّاني المسمّى ب مظاهر التّقديم و التّأخير و قد تناولت فيه ثلاثة مباحث (الأول : في باب المرفوعات، الثّاني:في باب المنصوبات ، و الثّالث : في باب المجرورات) ، أمّا الفصل الثّالث الذّي كان شاملاً و تطرّقت فيه إلى التّقديم و التّأخير في سورة البقرة كما تناولت فيه مبحثين : (الأول: عبارة عن لمحة لسورة البقرة ، ثمّ الثّاني : كان كتطبيق لبعض الظواهر) .

ثمّ ختمت المذكّرة بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة جمعت فيها أهمّ ماتوصلت إليه .

تأتي الجملة تامّة تركيبيّاً ، إذا استوفت عنصرين أساسيين هما : المسند و المسند إليه ؛ و لا تظهر الفائدة إلّا باجتماع هذين العنصرين .و قد نصّ النّحويون و البلاغيون على ذلك ، فالمسند و المسند إليه عند سيبويه هما الرّكنان اللّذان لا يستغني أحدهما عن الآخر ـ فأينما حلّ المسند يلازمه المسند إليه و اللغة العربية في الأصل ، محكومة ببلاغة شعريّة و كان لذلك أثر واسع في عدم التزام عناصر الجملة بترتيب معيّن ، فالأساس ترتيبها حسب أنغام البيت لا حسب نظامها النّحوي و ترتيبه. و من أجل ذلك كانت عناصر الجملة العربيّة تتقدّم و تتأخّر في الشّعر القديم دون نظام . و حاول

النّحاة أنْ يضعوا لذلك قواعد دقيقة[1]. و نظراً لاقتران التّقديم و التّأخير بالمعنى كان ذلك وسيلة للحكم على بلاغة القول و فصاحة الكلام .

و لعلّ اتّساع لغة العرب ، و خروجها عن إمكانيّة الاستقصاء المحكم في التّقعيد ، جعل بعض مسائل الرّتبة ميدان خلاف بين النّحاة ، إذْ جاء الاستعمال اللّغوي مخالفاً للقواعد التّي أصّلها النّحاة ، و لهذا نجد اختلاف النّحاة في المسائل في باب التّقديم و التّأخير و تعدّدت فيها آراؤهم.منها :

1-تقديم خبر (مازال) وأخواتها عليها .،فذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز تقديم خبر (ما زال) عليها.

2-تقديم خبر (ليس)عليها ، فذهب الكوفيون إلى أنّه لا يجوز تقديم خبر (ليس) عليها ؛ لأنَّ (ليس) فعل غير متصرّف ، و غير المتصرّف لا يعمل معاملة المتصرّف ، و ذهب البصريون إلى أنّه يجوز تقديم خبر (ليس) عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها [2]

التّقديم و التّأخير في الكلام لا يرد اعتباطا في النّظم و التّأليف ، فالمتكلّم إنّما يقدّم و يؤخّر ليظهر معنىً في نفسه لا يمكن أنْ يظهر إذا جاء بالكلام على أصله دون تقديم أو تأخير .

كما نجد أنَّ القدماء حصروا عنايتهم بظاهرة التّقديم و التّأخير ، و كان عمدتهم في بيان سبب التّقديم (قُدِّمَ للعناية به ، و لأنَّ ذكره أهمّ)، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني الذّي يعود له الفضل الأكبر في اكتشاف أسرار التّقديم و التّأخير .حيث أنّ البعض من النحاة استدلّوا و استشهدوا في هذه الظّاهرة بالبعض بالأمثال العربيّة، و كان المثل العربي واحداً من شواهد العرب في السّماع ، و أصّلوا عليها القواعد و بنوها ، و

[1]- ضيف شوقي، تجديد النحو، ط4، دار المعارف،القاهرة. (د.ت). ص46.
[2]- الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط4، مطبعة السعادة،القاهرة. (1961م). ص155-156.

اهتموا به إهتمامهم بمصادر السّماع الأخرى من قرآن و شعر و حديث و قراءات ، و من خلال هذا نجد أهمية المثل في الإستشهاد به في ظاهرة التّقديم و التّأخير .

المبحث الأوّل: جهود النّحويين في دراسة التّقديم والتّأخير

1/1 النّحويون القدامى:

تناول النّحاة القدامى مسألة التّقديم والتّأخير، وارتأيت من خلال بحثي في هذا العنصر أنّ هناك عدّة آراء نحو هذه الظّاهرة وعلى رأسهم "الخليل بن أحمد "يروي في حديثه عن التّقديم والتّأخير أنّ بعضه حسن وبعضه قبيح، دون أن يبيّن السّر البلاغي في التّقديم. ففيباب الابتداء يستقبح الخليل القول :(قائمزيد)، إذاً لم يجعل (قائماً)مقدّماً. وهذا التّقديم عربي جيّد، وذلك كأن أقول: تميمي أنا ، ويشرح "السيرافي "وصف الخليل وقوله: (قائم زيد) بالقبيح ،بأنّه إذا أراد أنْ يجعل(قائم) المبتدأ ، و (زيد)خبره أو فاعله ، وليس بقبيح إذا جعل (قائم) خبراً مقدّماً والنّيّة فيه التّأخير ، كما يقال : (ضرب زيداً عمرو)،و النّيّة تأخير زيد الذّي هو المفعول ، وتقديم عمرو الذّي هو الفاعل[1].

فالتّقديم عند الخليل يكون على نيّة التّأخير ، ويبقى على حكمه الذّي كان عليه قبل أنْ يقدّم؛{فالخبر في (زيد قائم)يظلّ خبراً إذا قلت :قائم زيد، وتقديم المفعول فيه (ضرب عمرو زيداً) يبقى على حاله مفعولاً إذا قلت: (ضرب زيداً عمرو)، وهذا هو الشّرط لحسن التّقديم عند الخليل ، وبغير مراعاة هذا الشّرط يصبح الكلام قبيحاً ؛ لأنّه إمّا أنْ يؤدّي إلى لبس؛ كما في تقديم المفعول حين يصبح فاعلاً ، أو يؤدّي إلى المحال كما في تقديم الخبر حيث يخبر عن النّكرة بالمعرفة}[2].

أمّا سيبويه فإنّه يلفت النّظر إلى السّر البلاغي في أثناء معالجة التّقديم والتّأخير في الكلام ؛ ويشير إلى أهمية التّقديم والتّأخير و دوره في المعنى ؛ إذ اتّخذ من التّقديم و التّأخير وسيلة للعناية و الاهتمام ، يقول: {فإنْ قدّمت المفعول و أخّرت الفاعل ؛ جرى

[1]-ينظر: السّيرافي، شرح الكتاب، ج1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 278.
[2]-عبد القادر حسين، أثر النّحاة في البحث البلاغي، دار الغريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص 59.

اللّفظ كما جرى في الأوّل ، وذلك قولنا: ضَرَبَ زَيْداً عَبْدُ اللهِ ، لأنّنا إنّما أردنا به مؤخّرا أمّا أردنا به مقدّما، ولم نرد أنْ نشغل الفعل بأوّل منه وإنْ كان يقدّمون الذّي بيانه أهم لهم، وهو ببيانه أعنى ، وإنْ كان جميعاً يهمّانهم ويعنيّانهم}[1]، فمن شأن المفعول أنْ يتأخّر عن الفاعل ، ولكنْ إذا تقدّم في ذلك لعلّه قصد إليها المتكلّم وهي: العناية و الاهتمام بشأنه .وهذه العلّة تنطبق أيضاً على تقديم المفعول على الفعل ،/يقول :" وإنْ قدّمت الاسم فهو عربي جيّد ، كما كان ذلك عربيّاً جيّداً، وذلك قولك: زَيْداً ضَرَبْتُ .والعناية و الاهتمام ههنا في التّقديم و التّأخير سواء منك في ضَرَبَ زَيْدُ عَمْراً ، و ضَرَبَ عَمْراً زَيْدُ "[2].

والتّقديم عند سيبويه ليس للعناية والاهتمام فقط ، وإنّما لعلل بلاغية أخرى ، ومنها التّقديم في باب ظَنَّ (عبد الله أظنّ ذاهب) ، فالتّقديم هنا لغرض بلاغي آخر ، ولعامل نفسي طرأ على المتكلّم أثناء كلامه وحول يقينه إلى شّك ، فألزمه تغيير وضع الألفاظ عمّا كان ينبغي أنْ تكون عليه ، وفي باب كَسَا وماينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً. يقول : "وإنْ شِئْتَ قدّمت واخّرت فقلت: كَسَا الثَّوْبَ زَيْدُ ، و أَعْطَى المَالَ عَبْدُ اللهِ ، كما قلت: ضَرَبَ زَيْداً عَبْدُ اللهِ ، فالأمر في هذا كالأمر في الفاعل"[3].

يرى أنَّ التّقديم يكون من الناحية البلاغية لغرض يقود المتحدّث إلى بعض الظّنون، أما في مايخص ما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر نفس شيء في هذه الحالة كما في الفاعل.

[1]-سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988، ص 34.
[2]-المصدر السّابق، ج1، ص 41.
[3]-المصدر نفسه، ج1، ص 19.

وفي حديثه عن التّقديم في (إنَّ) يقول:" واعلم أنَّ التّقديم والتّأخير ، والعناية و الاهتمام هاهنا مثله في باب كان، ومثل ذلك قولك: إنَّ أَسَداً في الطَّرِيقِ رابض ،و إنَّ بالطَّرِيقِ أَسَداً رابض، وإنْ شئت جعلت الطّريق مستقراً ثمّ وصفته بالرّابض[1]".

وقد أشار إلى ذلك في تقديم الظّرف أيضاً فيقول :"و التّقديم و التّأخير فيما يكون ظَرْفاً أو يكون اسماً في العناية و الاهتمام ، ومثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل و المفعول ، وجميع ماذكرت لك عربي جيّد كثير[2] " .

رأيت أنَّ التّقديم والتّأخير في "إنَّ" أعطوه عناية وإهتمام كما هو الحال بالنّسبة لكان،و في الظّرف أيضاً كما ذُكِرَ في الفاعل و المفعول.

ولقد أشار المبرّد في[كتابه المقتضب] عن التّقديم و التّأخير ، إذْ يجيز التّقديم والتّأخير في الأفعال المتصرّفة ، نحو: (غُلَامَهُ كانَ زَيْداً يَضْرُبُ)ويجيز نصب(الغلام)ب(يضرب) ؛ لأنَّ كلّما جاز أنْ يتقدّم من الأخبار جاز تقديم مفعوله ، يقول:"تقديم خبر المتصرّف من هذه الأفعال عليها جاز وكذلك تقديم معمولأخبارها عليها إلّا في المنفي بما ، لأنَّ (ما) لها صدر الكلام[3]". ولو رفع (غلامه) لكان غير جائز؛" لأنّه إضمار قبل الذّكر. ويجيز تقديم الخبر على المبتدأ ، إذا كان الخبر مقدّماً في اللّفظ دون المعنى ، وأمّا إذا كان تقديم الخبر في اللّفظ والمعنى فذلك غير جائز عنده ، وأمّا التّقديم والتّأخير في (إنَّ) وأخواتها فلا يجيزه ؛ لأنّها حروف جامدة غير متصرّفة[4]".

[1]-المصدر السّابق، ج1، ص 285.

[2]-سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 1988، ص 56

[3]-المبرّد، المقتضب، ج4، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، ط2، مصر، القاهرة، 1979، ص 102.

[4]- المبرّد، المقتضب، ج4، ص 109.

رأيتأنّه يجوز التّقديم والتّأخير خاصّة في الأفعال المتصرّفة التّي يمكن أنْ يتقدّم مفعولها كما يجوز أيضاً تقديم معمولها المنفي بما. حيث أنَّ الخبر جائز تقديمه على المبتدأ من ناحية اللفظ، أما من جهة المعنى لايجوزتقديمه. أما بالنسبة في " إنَّ" وأخواتها بما أنّها حروف جامدة لا يجوز التقديم والتّأخير هنا.

ويشير المبرّد إلى تقديم الحال على صاحبها وعاملها ، و ورود أمثلة على ذلك في القرآن الكريم و الشّعر العربي ، ويشترط لذلك تصرّف الفعل" فإذا كان العامل في الحال فِعْلاً ، صلح تقديمها وتأخيرها ، لتصرّف العامل فيها فقلت : جاء زَيْدُ رَاكِباً ، و رَا كِباً جاء زَيْدُ، و جاء رَاكِباً زَيْدُ[1]"

رأيت أنّه عندما يكون عامل الحال فعلاً متصرّفاً يجوز التّقديم و التّأخير.

كما تحدّث ابن جني في كتابه الخصائص عمّا يتّفق مع قواعد النّحو في التّقديم والتّأخير ومايختلف عنها، مراعيا صحّة القيّاس ، أو ضعفه ، أو فساده ، وذهب إلى أنَّ التّقديم على ضربين: أحدهما ما يقبله القيّاس ، و الآخر مايسهلهالاضطرار ، فالأوّل : كتقديم المفعول على الفاعل والفعل ، وكذلك ظرف الزّمان و المكان ، و الاستثناء يتقدّم على الاسم دون الفعل ، فتقول:ما قامَ إلَّا زَيْداً أَحد، ولانقول: إلَّا زَيْداً قام القَوْمُ.كذلك يجوز تقديم المفعول له ، مثل: طَمَعاً في بركزرعكلا يجوز تقديم المفعول معه نحو قولك : و الطَّيالسةَ جاءَ البردُ، لأَنَّ الواو هنا بمنزلة واو العطف فيقبح هذا ، كما قبح وزيد قام عمر، كما يقبح تقديم التّمييز على المميّز ، ولا يجوز تقديم نائب الفاعل ، كما لا يجوز تقدّم الفاعل على الفعل . يقول في ذلك : " وليس في الدّنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه فأمّا خبر المبتدأ فلم يتقدّم عندنا على رافعه ، لأنّه مرفوع بالمبتدأ أو الابتداء ، فلم يتقدّم الخبر عليهما معاً ، و إنّما تقدّم على أحدهما وهو المبتدأ . كما لايجوز تقديم

[1]-المصدر السّابق، ج4، ص 170/169.

الصّلة على الموصول، ولا التّوابع كلّها ماعدا عطف النّسق وهو قليل، والذّي جوّز التّقديم في عطف النّسق كما في قولك: قام وعمرو وزيد، أنّك اتّسعت في الكلام قبل الاستقلال والتّمام. وسبب قلّته أنّه ضعيف من جهة القيّاس؛ لأنّك إذا قلت: قام وزيد عمرو فقد جمعت أمامالخبر عليهما معاً، وإنَّما تقدّمعلىأحدهماوهو المبتدأ. كمالايجوز تقديم الصّلة على زيد بين عاملين، أحدهما قام، والآخر الواو. كما لا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف ، و لا الجواب على المجاب سواء كان شرطاً أو قَسَماً[1]" بعدما انتهى ابنجني من الشّرح والتّفصيل ووضع الأمثلة ، و التّعليل مما يستحقّ التّعليل يقول :"فهذه وجوه التّقديم والتّأخير في كلام العرب ، وإنْ كنّا تركنا منها شيئاً ، فإنّه معلوم المحال و لا حقّ بما قدّمناه[2]".

رأيت أنّه لا يجوز تقديم الرافع على مرفوعه في حالة رفع المبتدأ قد لا يتقدّم الخبر عليهما ، و بما يخص الصلة لا يجوز تقديمها على الموصول و أيضا بالنسبة للتوابع.و نفس الأمر في تقديم المضاف إليه على المضاف .

ثمّ وضّح ابنجنّي أيضاً في كتابه (المحتسب) أهمّيّة التّقديم باغيا أهمّيّة تقديم المفعول به عند ابن جنّي تظهر في ناحيّتين :الأولى: تقديم المفعول به ، و الثّانيّة : حذف الفاعل و إسناد الفعل إلى المفعول به[3].

فأصل وضع المفعول به ، أنْ يكون فضلة و بعد الفاعل نحو: (ضَرَبَ زَيْداً مُحَمَّدُ).فإنْ زادت عنايتهم به قدّموه على الفعل ، نحو: (زَيْداً ضَرَبَ مُحَمَّدُ)[4].فإنَّ ابن جني يقرّر أنَّ " تقديم المفعول به ، يكون لنكتة بلاغيّة هيّ العناية بشأنه ، وأنَّ هذه العناية تقوى وتضعف بحسب الحالات ، وكلّما قويت العناية به على الفاعل فقط ، نحو

[1]-ابن جنّي، الخصائص، ج2، تحقيق: محمد علي النّجّار، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط3، 1986، ص 390.
[2]-المصدر السّابق، ص 390.
[3]- ينظر: ابن جني، المحتسب، ج1، تحقيق: مصطفى الحلبي، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، 1954، ص65.
[4]-المصدر السّابق، ج1، ص65، 66

: (ضَرَبَ عَمْراً زَيْدُ) و الثّانيّة : أنْ يتقدّم المفعول به على الفعل منصوباً ، نحو: (عَمْراً ضَرَبَ زَيْدُ) والثّالثة : أنْ يتقدّم المفعول به على الفعل مرفوعاً ويصبح عمدة بعد أنْ كان فضلة ، نحو : (عَمْرو ضَرَبَهُ زَيْدُ). والرّابعة: وهيّ أقواها و أرفعها منزلة ، لأنّها تفضّل الثّالثّة بأنّ الجملة التّي بعد المقدّم تصبح مختصّة به عندما تخلو من الضّمير ، نحو : (عَمْرُو ضَرَبَ زَيْدُ) و يذكر ابن الجنّي أنَّ من دلائل شدّة عنايتهم بالمفعول به أنْ يُحْذَفُ الفاعل فيتسلّط حينئذ الفعل على المفعول به مباشرة ، و كأنّه هو الفاعل كما في حالة بناء الفعل للمجهول ، نحو:(ضُرِبَ عَمْرُو)[1]".

يتقدّم المفعول به على فعله في 4 حالات: في تقديمه عى الفاعل تقوى العناية به، و تقديم الفعل المنصوب ، و في تقيديمه على الفعل المرفوع في هذه الحالة يصبح عمدة ، و الحالة الأخيرة هي القوية و المفضّلة و لها مكانتها .

وأجاز الزّمخشري التّقديم و التّأخير وخاصّة تقديم الخبر على المبتدأ ؛ في قوله :" ويجوز تقديم الخبر على المبتدأ كقولك : تَمِيمِيٌّ أنا ، و مَشْنُوءُ من يَشْنُؤُكَ ، و كقوله تعالى : " سَوَاءُ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ [2]" ،و"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ[3]" المعنى (سواء عليهم) الإنذار و عدمه . وقد التزم تقديمه فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظَرْفاًوذلك قولك: في الدّارِ رَجُلُ. وأمّا سلام عليك ، وويل لك، وخير بين يديك ، وما أشبهها من الأدعية فمتروكة على حالها إذا كانت منصوبة مُنَزَّلَةُ منزلة الفعل[4]".

رأيت أنّه إذا كان المبتدأ نكرة و الخبر ظرفاً جائز تقديم الخبر على المبتدأ في هذه الحالة .

---

[1]- ابن جني، المحتسب، ج1، تحقيق مصطفى حلبي، المجلس الأعلى، للشّؤون الإسلامية، 1954 ص 135، ج 2، ص 284 وينظر : عبد القادر حسين،اثر النحاة في البحث اللّغوي، ص 316.

[2]-سورة الجاثية، الآية: 21

[3]-سورة البقرة، الآية: 06.

[4]- الزّمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، دار الكتاب المصري ودار الكتاباللبناني، القاهرة، بيروت، ط 1، 2001 ،ص 31

كما يرى ابن يعيش في حديثه عن الفرع والأصل أنَّ (إنَّ) و أخواتها لما كانت فرعاً في العمل عن الأفعال و محمولة عليها جُعِلَتْ دونها بأنْ قُدِّمَ فيها المنصوب على المرفوع حطًّا لها عن درجة الأفعال، و ذلك لأنَّ تقديم المفعول على الفاعل فرع و تقديم الفاعل أصل[1].

و تحدّث ابن هشام أيضاً حول ظاهرة التّقديم و التّأخير ، و من ذلك تقديم الخبر جوازاً و وجوباً [2]، وتقديم المفعول به والفاعل ، وتقديم الحال على عاملها و على صاحبها و غير ذلك[3] ، و عزّز ذلك بشواهد من القرآن الكريم و الشعر و الأمثال العربيّة ، و القول نفسه مع السيوطي الذّي فضل كثيرا في مسائل التقديم و التأخير ، إلا أنه لا يكاد يخرج عن سابقيه في ذلك [4].

2/1 النّحويون المحدثون:

لقد اهتمّ النّحاة المحدثون بظاهرة التّقديم والتّأخير،فالدّكتور إبراهيم أنيس لم يهتمّ بالنّظم والاتساق في العبارة كثيراً ولا يلتفت إلى ما يريده المعنى ويهدف إليه، بل لم يلتفت إلى ماجاء في كتب النّحاة مثل: (ضَرَبَزَيْداً عَبْدُ اللَّهِ). فذهب في حديثه عنْ تَأَخُّر الفاعل أنّه " ليس يشفع في انحراف الفاعل عن موضعه ماساقه سيبويه من حديثه عن العناية والاهتمام بالمتقدّم؛ إذ كما قال الجرجاني: لم يذكر في ذلك مثالاً، وكذلك لا يشفع في هذا الانحرافلسفة عبد القاهر، حين أراد توضيح معنى الاهتمام بعبارته المشهورة:(قَتَلَ الخارجيّ زَيْدُ) .... فما قاله النّحاة من جواز تقدّم المفعول على فاعله حين يؤمن اللّبس لا مبرّر له من أساليب صحيحة،ولا يعدو أنْ يكون رخصة من بها

[1]- ينظر: عبد اللّطيف محمد الخطيب، ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت، (د.ت)، ص 375
[2]- ينظر : إبن هشام ، شرح قطر الندى و بل الصدى ، مطبعة السعادة، مصر ، ط1 ، 1963م، ص124.
[3]-ينظر : إبن هشام أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر ج2 1993 م، ص271-272-273.
[4]- ينظر : السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1987 م

علينا النّحاة دون حاجة مُلِحَّة إليها، غير أن قد نقبلها في الشّعر و ذلك لأنَّ للشّعر أسلوبه الخاص[1]".

فالتّقديم و التّأخير عند إبراهيم أنيس ، لا يكون لأمر يتعلّق بالبنية الدّاخليّة المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلّم ، يقول :" و لَسْتُ أُغَالِيْ حين أُقَرِّرُ .هنا أنَّ المفعول لا يصحّ أنْ يسبق ركني الإسناد في الجملة المثبّتة كما يزعم أصحاب البلاغة في تلك الأمثلة المصنوعة من نحو :(زَيْدُ أَضَرَبْتَ؟ ، زَيْداً ضَرَبْتَهُ) ، أمّا التّقديم في مثل الآيات القرآنيّة التّاليّة :[[إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ[2]] و [[فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ[3]] و [[لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظلِمُونَ[4]] ، [[خُذُوهْ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ[5]] ، و[[فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، و أَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَر[6]] ، فالأمر فيه لايعدو أنْ يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنيّة ، فهيّ إذاً ، أشبه بالقافيّة الشّعريّة التّي يحرص الشّاعر على موسيقاها كل الحرصّ[7]".

إرتأيت أنَّ التّقديم و التّأخير إذا تعلّق بالبنية المتعلّقة بالذّهن لا يمكن للمفعول أنْ يسبق ركني الإسناد في الجملة الصحيحة .

و يستغرب الدّكتور أنيس تصرّف النّحاة في تقديم الحال و تأخيرها ، و يعدّ هذا التّقديم نوعاً من الفوضى التّي لا تقبلها لغة منظّمة ، فهو يذهب إلى أنَّ " النّحاة لا يرون غضاضة من تقديم الحال أو تأخيرها في غير هذين الأسلوبين – أسلوب الإضافة مثل : أعجبني وجه هند مسفرّة ، و أسلوب الحصر نحو ما نرسل المرسلين إلّا مبشّرين و منذرين – بل يفهم من كلامهم أنَّ أيّ تركيب من تراكيب التّقديم والتّأخير في الحال جائز لا غبار عليه ، و يعقّب على ذلك بقوله : و لعمري تلك هيّ الفوضى التّي لا

[1]-إبراهيم أنيس. ' من أسرار اللغة 'ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت). ص 226-225

[2]- سورة الفاتحة الآية 05.

[3]- سورة العنكبوت الآية 56.

[4]- سورة البقرة الآية 57. سورة الأعراف الآية 160.سورة العنكبوت الآية 40. سورة الروم الآية 09.

[5]- سورة الحاقة الآية 30 – 31.

[6]- سورة الضحى الآية 09 – 10.

[7]- إبراهيم،أنيس،(د.ت). ' من أسرار اللغة 'ط3 ، مكتبة الأنجلو المصرية .ص 333.

تقبلها لغة من اللّغات فضلاً عن لغة منظّمة دقيقة النّظام ، كلغتنا العربيّة ، ثمّ يزعم أنّه استقرأ جميع الحالات المفردة في القرآن الكريم فلم يرى بينها مثلاً واحداُ يؤيّد مايزعمه النّحاة من تقديم الحال ،يستشهد على صحّة ما يراه بخمس عشرة آية من القرآن الكريم يلتزم فيها تأخير الحال عن صاحبها و عاملها معاً[1] ".

رأيت أنّه لا يمكن تقديم الحال على صاحبها لأنّه يحدث خلل و لبس و فوضى في الجملة .

حيث يرى الدّكتور تمّامّ حسّان أنَّ دراسة التّقديم والتّأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التّركيب لا للتّركيب نفسه، أيْ إنَّها دراسة تتمّ في نطاقين أحدهما مجال حرّيّة الرّتبة غير المحفوظة، وتجنّب الحديث في الرّتبة المحفوظة؛" لأنَّ هذه الرّتبة لو اختلَّتْ لاخْتلَّ التّركيب باختلالها، ومن هنا تكون الرّتبة المحفوظة قرينة لفظيّة تحدّد معنى الأبواب المرتّبة بحسبها. ومن الرّتب المحفوظة في التّركيب العربيّ أنْ يتقدّم الموصول على الصلة ، و الموصوف على الصّفة ، و يتأخّر البيان على المبين ، و المعطوف بالنّسق ، عن المعطوف عليه ، و التّوكيد عن المؤكّد ، و البدل عن المبدل ،والتّمييز عن الفعل و نحوه ، و صدارة الأدوات في أساليب الشّرط و الاستفهام و العرض و التّخصيص ، و تقدّم حرف الجرّ على المجرور ، و حرف العطف على المعطوف ، و أداة الاستثناء على المستثنى ، و حرف القسم على المقسم به ، و واو المعيّة على المفعول معه ، و المضاف على المضاف إليه ، و الفعل على الفاعل أو نائب الفاعل ، و فعل الشّرط على جوابه.و من الرّتب غير المحفوظة رتبة المبتدأ و الخبر ، و رتبة الفاعل و المفعول به ، و رتبة الضّمير ، و المرجع ، و رتبة الفاعل و التّمييز ، و رتبة الحال ، و الفعل المتصرّف ، و رتبة المفعول به و الفعل [2]".

[1]- إبراهيم،أنيس من أسرار اللغة ،ط3 ، مكتبة الأنجلو المصرية ،(د.ت).ص317-318.

[2]- حسان،تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.(1979م). ص207.

إرتأيت إذا حدث خلل في الرتبة يختل تركيب الجملة و على هذا المنوال يمكن تقديم الموصول على الصّلة ، و الموصوف على الصّفة ، كما أيضا يمكن تأخير البيان على المبين ، و المعطوف على المعطوف عليه ، و البدل على المبدل .

وقد وافق تمّام حسّان بعض النّحاة في أنَّ اللّغة قد تنحرف عن القاعدة الأصليّة لأمن اللّبس وهو مايسمّى " بالعدول عن الأصل"، فالقاعدة الأصليّة مثلاً تجعل المبتدأ متقدّماً على الخبر، ولكنيحدث أحياناً أنْ يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على لفظ يشتمل عليه الخبر، فلو اِسْتُصْحِبَ هذا الأصل لعاد ضمير على متأخّر لفظاً ورتبة،ولَأدَّى ذلك إلى اللّبس.عندئذ يعدّل عن هذا الأصل إلى القاعدة الفرعيّة وهيّ قاعدةتقديمالخبر. و الأصل في المبتدأ أَنْ يكون معرفة ، و من شأن تعريف المبتدأ و تنكير الخبر أَنْ يعيّن على تعيين كلّ منها فيؤدّي إلى أمن اللّبس ، و لكن إذا أمن اللّبس بدون تعريف المبتدأ جاز لابتداء بالنّكرة ، و نشأت قاعدة فرعيّة لذلك تحدّد لحالات التّي يؤمن فيها اللّبس و تتحقّق الفائدة[1].

كما لاحظت أنَّ شوقي ضيف قد بيَّن العلّة في انفتاح الأبواب الواسعة للتّقديم والتّأخير في النّشأة الشّعريّة العربيّة؛ وذلك تلبيّة لحاجة النّغم في الأبيات، ممّا يضطرّ الشّاعر في كثير من الأحيان لمخالفة التّرتيب النّحويّ للعبارة، إذْ المهمّ عنده التّرتيب النّغمي، حتّى ا يختلّ هذا التّرتيب. فالتّقديم و التّأخير بين الكلمات في الشّعر العربي جائز باستثناء التّقديم و التّأخير بين المضاف و المضاف إليه،و بين المتبوع و التّوابع نعتاً و غير نعت[2].

و لم يتجاوز إبراهيم صالح خلفات في حديثه عن الرّتبة في اللّغة العربيّة ما ذكره القدامى ، فهو يرى أنَّها مواقع الأبواب النّحويّة داخل الجملة ، و هذه الأبواب قد تلتزم

[1]- ينظر :حسان، تمام. الأصول، المغرب، الدار البيضاء. (1981م) ص145..

[2] - ينظر :ضيف، شوقي. تيسير النحو العليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، دار المعارف، القاهرة. (د.ت). ص189-190.

بمواقعها داخل الجملة (الرّتبة الثّابتة) ، وقد تنتقل من موقع إلى آخر تقديماً و تأخيراً (الرّتبة المتنقّلة)[1].و الذّي يسمح بانتقال الكلمات و تغيير ترتيبها في الجملة ، هو ظهور علامات الإعراب التّي تحدّد للكلمة وظيفتها[2].

و أشار إلى وجوب التّقديم في بعض المواضع ، فالألفاظ تكون مرتّبة داخل الجمل لكي تؤدّي وظائفها بالشّكل الصّحيح ، و لكي تتحقّق الإفادة في الجملة ، فيأتي الفاعل بعد الفعل ، و المفعول به بعد الفاعل ، و الخبر بعد المبتدأ ، و المجرور بعد حرف الجرّ، و الصّفة بعد الموصوف ...إلخ ، ولكن يحصل أحياناً تبادل في مواضع الكلمات فتحلّ كلّ كلمة مكان الأخرى تقديماً و تأخيراً ، فيتقدّم المفعول به على الفعل ، و على الفاعل ، أو يتقدّم الخبر على المبتدأ ، إذا كان من الأدوات التّي لها الصّدارة أو كان المبتدأ نكرة[3].

ويهدف أيضاً إلى التّقديم و التّأخير وجوباً بسبب القاعدة النّحويّة ، إذْ إنَّ القاعدة الأصليّة تجعل المبتدأ متقدّماً على الخبر ، و لكنْ أحياناً قد يشتمل المبتدأ على ضمير يعود علىلفظيشتمل عليه الخبر فلو التزمنا بالقاعدة الأصليّة لعاد الضّمير على متأخّر لفظاً ورتبة ، و لأدّى ذلك إلى اللّبس ، ولهذا فلا بدّ من العدول عن الأصل إلى القاعدة الفرعيّة ، و هيّ قاعدة تقديم الخبر على المبتدأ مثل: (في الحَدِيقَةِ صَاحِبُهَا)، و المثال الآخر أنَّ الأصل في القاعدة أنْ يتقدّم الفاعل على المفعول به ، ولكنْ أحياناً يشتمل الفاعل على ضمير يعود على المفعول به مثل : (قَرَأَ الكِتَابَ صَاحِبُهُ) ، فلو قدّمنا الفاعل على المفعول به لعاد الضّمير على متأخّر لفظاً ورتبة ، ولأدّى ذلك إلى اللّبس ، و لهذا لابدّ من العدول أيضاً عن الأصل إلى القاعدة الفرعيّة؛ تحقيقاً لأمن اللّبس و امتثالاً لسَمْتِ العرب في كلامهم و طرائق ترتيبهم له.

[1]- ينظر :الخلفات، إبراهيم صالح. الرتبة النحوية في الجملة العربية المعاصرة، ط1، (د. ن). (2002م). ص16

[2] - المصدر السابق ص17

[3] - ينظر:الخلفات، إبراهيم صالح. الرتبة النحوية في الجملة العربية المعاصرة، ط1، (د. ن). (2002م). ص55.

ولعلّ هذه بعض الجهود التّي تناولت التّقديم عند العلماء المحدثين، ولَسْتُ أريد أنْ أَسْتَقْصِيْ هذه الدّراسات؛ رغبة في الاختصار، وإنّما تسليط الضّوء على التّفاوت بين التّفكير النّحويّ في التّقديم والتّأخير وتوجيه لدى القدامى والمحدثين، وكيفيّة تحليل المحدثين لما انتهى إليه القدامى من قواعد تنظّم آليّات التّركيب اللّغويّة وأنماطه ممّا استقرأوه من لغة العرب.

المبحث الثاني: جهود البلاغيين في دراسة التّقديم والتّأخير

1\1 البلاغيون القدامى:

ولقد أشار إلى ذلك البلاغيون إلى البحث عن التّقديم والتّأخير، وأسرارهالبلاغيةالبيانيّة، فركّزوا على دلالات التّراكيب وبيان أثر ذلك في المعنى، فربطوا تحوّل عناصر الجملة التّركيبيّة عن موضعها بالدّلالة، فتوجّهت جهودهم نحو استقصاء الدّلالات والمعاني لا تأخير القواعد وتأصيلها.

فابن سنان الخفاجيلم ينظر إلى التّقديم و التّأخير نظرة شاملة فحسب ، و إنّما ذكره في نطاق ضيّق عندما كان يتحدّث عن شروط خاصّة بالتّأليف منها : وضع الألفاظ في وضعها حقيقة أو مجازاً ، يقول : " ومن وضع الألفاظ موضعها ألّا يكون في الكلامتقديم و تأخير ، حتّى يؤدّي ذلك إلى فساد معناه و إعرابه في بعض المواضع ، أو سلوك الضّرورات حتّى يفصل فيه بين مايقبح فصله في لغة العرب كالصّلة و الموصول و ما أشبهها [1]".

[1]-الخفاجي ، بن سنان. سر الفصاحة، ط1، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر. (1969م). ص101.

رأيت أنّه إذا كانت الألفاظ في مكانها لا يكون هناك تقديم و تأخير حتّى لا يحدث خلل في معنى الجملة .

وفي ضوء ذلك استشهد ابن سنان ببعض الأمثلة عن التّقديم والتّأخير التّي تتنافى مع شروط صحّة تأليف الكلام. ومن هذه الأمثلة قول أبي الطّيّب[1] :

المَجْدُ أَخْسَرُ والمَكَارِمُ صَفْقَةٌمِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الهِمَامُ الأَرْوَعُ.

ففي هذا البيت قُدِّمَ (أخسر) على (المكارم)، وفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالخبر وهو أخسر؛ إذالتّقدير: المجدوالمكارم أخسر صفقة.

و يبدو أنَّ عبد القاهر الجرجانيأدرك تركيز النّحاة على جانب التّقديم و التّأخير دون العناية الكافيّة بالمعنى المترتّب على ذلك ، و أفرد فصلاً للتّقديم و التّأخير في كتابه (دلائل الإعجاز) وَظَّفَ فيه ارتباط علم المعاني بعلم النّحو ، إذ يرى أنَّ التّركيب النّحوي الصّحيح ، و هو الذّي يأتي بوظائف مختلفة ، فليس النّظم عنده : " إلّا أَنْ تَضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النّحو ، و تعمل على قوانينهو أصوله، و تعرف مناهجه التّي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها ، و تحفظ الرّسوم التّي رُسِمَتْ لك فلا تخلّ منها بشيء [2]" .

رأيت أنّ النحويين لم تكن عنايتهم في ظاهرة التقديم و التّأخير كافية من جانب المعنى ، حيث أنّه وظّف المعاني بالنّحو .

و قد لاحظ عبد القاهر أنَّ النّحويين لا يتغلغلون إلى معرفة دقائق الكلام ، والفروق بين التّراكيب ، و وجوه الاختلاف بينها في درس التّقديم و التّأخير ، يقول : " و اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً – يجرى مجرى الأصل – غير العناية و الاهتمام ، قال

[1]- عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين، ط1، الجيل، بيروت. ص139

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط1، مكتبة سعد الدين، دمشق، 1983، ص61.

صاحب الكتاب و هو يذكر الفاعل و المفعول: " و كأنّهم يقدّمون الذّي بيانه أهمّ ، و هم بشأنه أعنى ، و إنْ كان جميعاً يهمّانهم و يعنيّانهم[1] ".

إرتأيت أنَّ النّحويين لا يبالون إلى الفرق الوارد في الكلام من النّاحية التّركيبيّة و الإختلاف الواقع في التّقديم و التّأخير .

والتّقديم عند الجرجاني نوعان:" تقديم على نيّة التّأخير، وذلك كخبر المبتدأ إذا قُدِّمَ عليه، والمفعول به إذا قُدِّمَ على الفاعل. وتقديم لا على نيّة التّأخير ، و لكن على أنْ ينقل الشّيء من حكم إلى آخر و ذلك أنْ تجيء إلى اسمين يحتمل أنْ يكون كلّ منهما مبتدأ ، و يكون الآخر خبراً له ، فتقدّم مرّة هذا على ذلك، و أخرى ذاك على هذا ، ومثاله ماتصنعه بزيد المنطلق حيث تقول مرّة: (زيد المنطلق) و أخرى: (المنطلق زيد)فقد تغيّر حكم الإعراب ، و تغيّر المعنى أيضاً[2]".

وأشار ابنالأثيرإلى ضربين من التّقديم والتّأخير. الأوّل يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني، ولوأُخِّرَالمقدّم أو قدّم المؤخّر لتغيّر المعنى، وهو ينقسم إلى قسمين: أحدهما: يكون التّقديم فيه هو الأبلغ، والآخر: يكون التّأخير فيه هو الأبلغ.

فأمّا القسم الذّي يكون التّقديم فيه هو الأبلغ فمنه تقديم المفعول علىالفعل، نحو: محمّداً ضَرَبْتُ. وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه، نحو: قائم زيد.

و الثّانيّ: يختصّ بدرجة التّقدّم في الذّكر لاختصاصه بما يوجب له في ذلك ، و لو أخّر لما تغيّر المعنى[3].

وفي ضوء ذلك يشير القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة إلى الأسباب البلاغيّة لتقديم المسند وهيّ:إمَّا التّخصيص بالمسند إليه،كقولك:(قائمهو) لمن يقول: زيد إمّا قائم أو قاعد؛ فيردده بين القيّام والقعود من غير أنْ يخصّصه بأحدهما،ومنه قولهم:

[1]- المصدر السابق ص97.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط1، مكتبة سعد الدين، دمشق، 1983، ص97.

[3]-ينظر : ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، المكتبة العصرية،بيروت،صيدا. (1995م)، ص35.

تَمِيمِيٌّ أنا.و إمّا للتّنبيه من أوّل الأمر على أنّه خبر لا نعت كقوله تعالى: [[وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]][1]و إمّا للتّفاؤل ، و إمّا للتّشويق إلى ذكر المسند إليه[2] .

كما أنَّ السّكاكييأخذ بملاحظة سيبويه في التّقديم فيقول : " و الحالة المقتضيّة لذلك هي كون العناية بما يقوم أتمّ ، و إيراده في الذّكر أهمّ ، و العناية التّامّة بتقديم ما يقدّم و الاهتمام بشأنه[3] ".

والعناية هي الغرض البلاغي للتّقديم عند السّكاكي، وعلى هذا الأساس يقسّم التّقديم للعناية إلى قسمين:

أحدهما : أنْ يكون الأصل ما قُدِّمَ في الكلام هو التّقديم و لا مقتضى للعدول عنه ، كالمبتدأ المعرّف ، فإنَّ أصله التّقديم على الخبر ، نحو :(زَيْدُ عَارِفٌ) ، و كذلك الحال المعرَّفْ ، فإنَّ أصله التّقديم على الحال ، نحو : (جَاءَ زَيْدٌ رَاكِباً)و كالعامل فإنَّ أصله التّقديم على معموله ، نحو :(عَرَفَ زَيْدٌ عَمْراً ، و كان زَيْدُ عَارِفاً ، و إنَّ زَيْد أَعَارِفٌ)و كالفاعل ، فإنَّ أصله التّقديم على المفعولات و مايشبهها من الحال و التّمييز ، نحو : (ضَرَبَ زَيْدُ الجَانِيَبالسُّوطِ ، يَوْمَ الجُمُعَةِ ، أمام بكر ضَرْباً شديداً ، تَأْدِيباً لَهُ ، مُمْتَلِئاً مِنَ الغَضَبِ).و كالذّي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب(عَلِمْتُ)نحو : (عَلِمْتُ زَيْداً مُنْطَلِقاً)أو في حكم الفاعل من مفعولي باب(أَعْطَيْتُ) و (كَسَوْتُ) نحو: (أعْطَيْتُ زَيْداً دِرْهَماً ، و كَسَوْتُ عَمْراً جُبَّةً)و كالمفعول المتعدّي إليه بواسطة ، نحو: (ضَرَبْتُ الجَانِيَ بالسُّوطِ) و كالتّوابع ، فإنَّ أصلها أَنْ تُذْكَرُ بعد المتبوعات[4].

[1]- سورة البقرة الآية 36.
[2]- ينظر :القزويني، الإيضاح فيعلوم البلاغة، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989م، ص193.
[3]- السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1983. ص193.
[4]-ينظر :القزويني، الإيضاح فيعلوم البلاغة، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989م، ص209.

و ثانيهما :أنْ تكون العناية بتقديمه ، و الاعتناء بشأنه ؛ لكونه في نفسه نُصْبَ عينك، و التفات خاطرك إليه في التّزايد ، كما تَجِدُكَ قَدْ مُنِيْتَ بِهَجْرِ حبيبك ، و قيل لك : ماتتمنّى ؟ تقول : وجه الحبيب أتمنّى ، أو لعارض يورثه ذلك ، كما إذا توهّمت أَنَّ مُخَاطَبَكَ مُلْتَفِتْ الخاطر إليه ، ينتظر أنْ تذكره فيبرز في مَعْرِضِ أمر يتجدّد في شأنه التّقاضي ساعة فساعة ، فمتى تَجِدْ له مجالاً للذّكر صالحاأوردته[1]، كقوله تعالى : [[وجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المدِينَةِ يَسْعَى]][2] . قُدِّمَ فيه المجرور لاشتمال ماقبله على سوء معاملة أهل القرية الرسل من إصرارهم على تكذيبهم، فكان مَظِنَّة أنْ يلعن السّامع تلك القرية.

أو كما إذا وُعِدْتَ ما تُبْعِدُ وقوعه من جهتين ، إحداهما : أدخلُ في تبعيده من الأخرى، فإنَّك حال التفات خاطرك إلى وقوعه باعتبارهما تَجِدُ تَفَاوُتاً في إنكارك إيّاه قوّة و ضُعْفاً بالنّسبة ؛ و لامتناع إنكاره بدون القصد إليه يَسْتَتْبِعُ تفاوته ذلك تفاوتاً في القصد إليه و الاعتناء بذكره ؛ كقولك ، لقد وُعِدْتُ أنا و أبي و جدّي هذا ، فتُؤَخِّر[3] أو كما إذا عرفت في التّأخير مانِعاً ، كقوله تعالى : [[الملأُ من قَوْمِهِ الذِّينَ كَفَرُوا و كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ و أَتْرَفْنَاهُمْ [4]]] بتقديم المجرور على الوصف ؛ لأنّه لو أُخِّرَ عنه لاحتمل أنْ يكون من صلة (الدّنيا) و اشتبه الأمر في القائلين ؛ أنّهم من قومه أم لا[5].

2\1 البلاغيونالمحدثون:

[1]-المصدر السابق ، ص210.
[2]- سورة يس، الآية 20.
[3] -ينظر :القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989م، ص69.
[4]- سورة المؤمنون الآية 33.
[5]-ينظر :القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989م، ص70.

تحدّث البلاغيون المحدثون عن التّقديم والتّأخير،فعبد العزيز عتّيق،يُسلم بأنَّ" الكلام يتألّف من كلمات وأجزاء،وليس من الممكن النّطق بأجزاء أيّ كلام دفعة واحدة من أجل ذلك كان لابُدَّ عند النّطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضهالآخر.و ليس شيء من أجزاء الكلام في حدّ ذاته أولى بالتّقدّم من الآخر ؛ لأنَّ جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار ؛ بعد مراعاة ماتجب له الصّدارة كألفاظ الشّرط و الاستفهام[1] .

ولتوضيح ذلك نشير إلى أنَّه يرى أنَّ تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، وإنّما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها. فكلّ ما يدعو بلاغيّاً إلى تقديم جزء من الكلام هو ذاته ما يدعو بلاغيّاً إلى تأخير الجزء الآخر.

و بناءً على ذلك لايكون هناك مبرّر لاختصاص كلّ من المسند إليه و المسند بدواع خاصّة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر ؛ لأنّه إذا تقدّم أحد ركني الجملة تأخّر الآخر ، فهما متلازمان[2]".

وكما ذكر محمّد عبد المطّلب عن قضيّة التّحوّل في المسند إليه، فالتّحوّل عنده يصيب المسند إليه، ويأخذ شكل حركة أفقيّة، ينتقل فيها الدَّالُّ من موضعه الأصلي إلى موضع طارئ.

ومقولة التّقديم عنده قد تكون خالصة للبعد المعنوي، وإنَّ المسند إليه محكوم عليه أبداً، والمحكوم عليه متقدّم في الذّهن على المحكوم به. و مقولة التّقديم لا تكتسب حقيقتها

[1]- ينظر :عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية وعلم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة ونشر، بيروت، 1984، ص148.
[2]- المصدر السابق ،ص149.

الخالصة إذا كان المسند إليه فاعلاً ؛ لأنَّ موضعه الدّائم هو التّأخير عن الفعل، و من ثمّ تنصرف مقولة التّقديم إلى المبتدأ ؛ لأنَّ رتبته (غير المحفوظة) هي التّقديم[1].

و يرى أحمد مطلوب " أنَّ التّقديم و التّأخير يقع في الجملة ، و الجملة أصغر وحدة يتمّ بها معنى الكلام ، و لابدّ من أنْ يكون فيها مسند و مسند إليه أيّ : فعل و فاعل ، أو مبتدأ و خبر[2]. و ذهب إلى أنَّ تقديم الفعل أو تأخيره في الجملة ليس مسألة إعراب و اختلاف فيه ، و إنّما يرجع ذلك إلى المعنى ، فهو الذّي يحدّد تركيب الجملة و يوجب البدء بالفعل أو الاسم[3] ".

يرى أنَّه في الجملة يمكن تقديم وتأخير الفعل ليس من جهة المحل الإعرابي و إنّما من حيث المعنى الذّي يعطيها الأكثر وضوحاً و يبيّن تركيبها .

و أشار الدّكتور أحمد مطلوب إلى أنَّ التّقديم و التّأخير يؤثّر في حكم كل جزء و يبدل المعنى الذّي يُهْدَفُ إليه ، فإذا تساوى المبتدأ و الخبر في التّعريف أو التّنكير كان المقدّم منهما المبتدأ و المؤخّر الخبر ، و هو مايحدّده الغرض فإنْ كان المراد الإخبار بأحدهما ، أُخِّرَ ليصبح وصفاً للثّاني ، أيّ مسند و لولا هذا الهدف لم يكن لهذا التّركيب أهمّيّة ، و لأصبح عبثاً أو ضرورة يلجأ إليها من لا يقدر على التّعبير السّليم[4].

وقد أشار إلى ذلك محمود أحمد نحلة عن هذه المسألة، ويرى أنَّ للكلمات في الجمل رتبة مرعيّة،وترتيباً خاصّاً، قد يكون ذلك إجباريّاً كتقديم الموصوف على الصّفة،والمضاف على المضاف إليه،وقد يكونإختيّاريّاً كتقديم الخبر،وهذا النّوع من التّرتيب الاختياريوثيق الصّلة بالبلاغة والمفاضلة بينالأساليب. ويشير إلى هذا أنَّ هناك أصلاً لترتيب الكلمات في اللّغة ، و الخروج على هذا الأصل يكون تحقيق لهدف

[1]- ينظر :عبد المطلب محمد، في البلاغة العربية قراءة أخرى، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة. 1997م.ص235-236.

[2]-ينظر : أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1989م، ص38.

[3]- المصدر السابق ص43.

[4]-المصدر السابق ص51-52.

بلاغي، ويرى أنَّ أصل التّرتيب لا يرد خلواً من معنى زائد على أصل الوضع ، بل يكون في اللّجوء إليه أحياناً نكتة بلاغيّة يدركها من كان له معرفة بالأساليب العربيّة[1].

ورتبة المسند إليه عند أحمد مصطفى المرّاغي التّقديم؛ لأنّه المحكوم عليه ورتبة المسند التّأخير إذْ هو المحكوم به، وماعادا هما فتوابع ومتعلّقات تأتي تاليّة لهما في الرّتبة.

و قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه ، و إنْ كان حقّه التّأخير فيكون من الحسن تغيير هذا ليكون المقدّم مشيراً إلى الغرض الذّي يراد ، و مترجماً عمّا يقصد منه[2] .

ثمّ تطرّق إلى أحوال التّقدّم، وهيّعندهأربعة:

1 -ما يفيد زيّادة في المعنى مع تحسين في اللّفظ.

2 -ما يفيد زيّادة في المعنى.

3 -ما يفيد فيه التّقديم والتّأخير.

4 -ما يختلّ به المعنى و يضطرب ، و ذلك هو التّعقيد اللّفظي أو المعاظلة تقدّمت كتقديم الصّفة على الموصوف و الصّلة على الموصول و نحو ذلك[3].

وقد أشار رجاء عيد إلى مسألة التّقديم والتّأخير بلاغيّاً، وهو يجيز تقديم الفاعل على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ. و لكنْ يُنبّهْ إلى الخطورة التّي تكمن في تحديد أسباب التّقديم ، إذ يرى أنَّ الجملة قد تخرج عن نمطها التّركيبي المعروف لغرض فنّي ، فيتقدّم الفاعل على فعله ، و يتقدّم الخبر على مبتدئه ، و لكن الخطورة تكمن في تحديد أسباب التّقديم و تقنينها في نماذج لا تخدم تماماً وجهة نظر البلاغيين[4].

---

[1]-ينظر : محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية وعلم المعاني، ط1، دار العلوم العربية، لبنان، 1990م، ص190.

[2]- ينظر :أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع (د.ن) (د.ت) ص92.

[3]-ينظر : أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع (د.ن) (د.ت) ص93

[4]-ينظر : رجاء عيد ، فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور ، ط2 ، منشئة المعارف الإسكندرية (د.ت) ص74 .

و حاول إرجاع التّقديم و التّأخير إلى فنّيّة الأديب ، و هذه الفنّيّة المتشابكة مع حسّه الشّعوريّ و اللّاشعوري ، هيّ التّي تتدخّل في التّركيب اللّغوي للعبارة[1].

[1]- المصدر السابق ص79 .

الفصل الثّاني: مظاهر التّقديم والتّأخير

المبحث الأوّل: مظاهر التّقديم والتّأخير في باب المرفوعات

1/1 تقديم خبر المبتدأ:

الأصل في المبتدأ أنْ يأتي متقدّماً على الخبر ، و في الخبر أنْ يلي المبتدأ رتبة[1] . وقد يتقدّم الخبر، ويتأخّر المبتدأ لأغراض بلاغيّة و تركيبيّة ، فتتكوّن جملة مخالفة للأصل المفترض : ولذلك تظهر صور مختلفة من التّراكيب من حيث العناصر المكوّنة للجملة ،منها :

-أنْ يكون الخبر اسماً مفرداً معرفة،نحو : قائم محمّد.

-أنْ يكون الخبر جملة اسميّة ، نحو : أبوه قائم محمّد.

-أنْ يكون الخبر جملة فعليّة ، نحو : ضربوني القوم.

-أنْ يكون الخبر شبه جملة ، و المبتدأ نكرة ، نحو : في الدّار رجل.

أمّا المبتدأ فلا يأتي إلّا على صورة واحدة ، وهيّ الإفراد ؛ إذْ لايجوز أنْ يكون إلّا اسماً أو ماهو في حكم الأسماء . وقد راعى النّحاة التّصوّر الذّهني للتّراكيب اللّغويّة ، فعلى الرّغم من التّقديم و التّأخير في العناصر إلّا أنَّ الشّكل الإفتراضي الأصلي لابُدَّ أنْ يكون ماثلاً في الذّهن ، ولهذا ينظرون إلى التّقديم و التّأخير على أنّه صورة لفظيّة لاتغيّر من حقيقة مواقع العناصر الأساسيّة في التّركيب الأصلي الإفتراضي و يترتّب عليها أحكام و دلالات في المعاني.

و في تقديم الخبر المفْرَدْ المعرفة خلاف ، إذْ ذهب بعض النّحاة إلى جواز ذلك ؛ لأنّه في النّيّة مؤخّر ، يقول سيبويه في[الكتاب] **:** " إذا لم تجعل قائِماً مُقَدَّماً مبنيّاً على المبتدأ كما تؤخّر و تقدّم فتقول : (ضَرَبَ زَيْداً عَمْرو) و (عَمْرُو) على ضرب

[1]- ينظر :الجامي نور الدين. الفوائد الضيائية ، ج1 ، مطبعة وزارة الأوقاف ، الجمهورية العراقية . (1983م). ص279 .

مرتفع ، و كان الحدّ أنْ يَكون مُقَدَّماً و يكون (زيد) مؤخّراً ، وكذلك هذا الحدّ أنْ يكون الابتداء فيه مقدَّماً ، و هذا عربي جيّد و ذلك قولك : (تَمِيمِيٌّ أَنَا ، و مَشْنُوءٌ مِنْ يَشْنَؤُكَ)"[1].وقولهم في المثل :(فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ)و قولهم في :(أَكْفَانِهِ لُفَّ المَيّتُ)،قد تقدّم الضّمير في هذه المواضع كلّها على الظّاهر ؛ لأنَّ التّقديرفيها(الحكم يُؤْتَى في بَيْتِهِ)و (الميّتْ لُفَّ في أكفانِهِ)[2].

و ذهب الكوفيّون إلى أنّه لايجوز تقديم خبر المبتدأ الذّي يَحْمِلُ ضميره عليه ؛ لأنّه يؤدّي إلى تقديم ضمير الاسم على ظاهره [3]، مع أنَّ التّقديم هنا على نيّة التّأخير ، إذْ إنَّ أصل ترتيب عناصر الجملة هو(زيد قائم) فالضّمير في(قائم)يعود على(زيد) ، و(زيد)متقدّم لفْظاً و رتبة ، و عندما يقال :(قائم زيد)فالضّمير في(قائم)يعود على زيد المتأخّر لفْظاً المتقدّم رتبة ؛ و هذا جائز على الآداء اللّغويّ ، و يكاد النّحاة يجمعون على أنّه تقديم الخبر المعرفة على المبتدأ المعرفة أَمْناً لِلُّبْسِ في التّركيب الإسنادي ؛ فأيّهما تَقَدَّمَ فهو المبتدأ ، نحو :(زيد أخوك)يقول ابن يعيش :" قد يقع المبتدأ و الخبر معرفتين معاً كقولك : (زيد المنطلق) ، (و الله إلهنا) ، و (محمّدٌ نبيّنا) ، ومنه قولك : (أَنْتَ أَنْتَ) ، و قول أبي النّجم : أنا أبو النّجْمُ و شعري و شعري .و لايجوز تقديم الخبر هنا بل أيّهما قَدَّمْتَ فهو المبتدأ"[4].

رأيت أنَّه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ الذّي يعود على ضميره ، و بالتّالي يتقدّم ضميره على ظاهره .

---

[1]- سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3، (1988م) . ص127 .

[2]- ينظر :الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ، ط4 ، مطبعة السعادة ، القاهرة . (1961م) .ص66 .

[3]- المصدر السابق ص65 .

[4]- ابن يعيش ، شرح المفصل ،ج1 ، عالم الكتب ، بيروت . (د.ت) .ص98

و استثنوا من ذلك التّركيب اللّغوي الذّي يتضمّن دليلاً أو قرينة على أنَّ الأوّل هو الخبر ، والثّانيّ هو المبتدأ نحو : قوله[1]:(لُعَابُ الأفاعيّ القَاتِلاَتِ لُعَابُهُ)و قوله[2]:

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا و بَنَاتِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ

ألّا ترى أنّه لا يُحْسِنُ أَنْ يَكونَ (بَنُونَا)هو المبتدأ ؛ لأنّه يَلْزَمُ معه أنّ الشّاعر لا يكون له (بَنُوْنْ) إلّا (بنيأبنائه)، و ليس المعنى على ذلك ، فجازوا تقديم الخبر هنا مع كونه معرفة لظهور المعنى ، و أمن اللّبس[3].

و ذهب بعض النّحاة إلى" جواز تقديم الخبر ، إذا كان جملة إسميّة ، و إنْ حَمَلَ ضميراً يعود على الاسم المتأخّر ، و ذلك لأنَّ الاسم في النيّة متقدّم[4] " ، و ذهب بعض النّحاة إلى" منع تقديم الخبر الذّي يحمل ضمير المبتدأ عليه ؛ لأنّه يؤدّي إلى تقديم الضّمير على الاسم العائد عليه[5] ". و ماذهب إليه الفريق الأوّل يُؤَيّدُ الآداء اللّغويّ ؛ لأنّه لا ضَرَرَ في تقديم الضّمير على العنصر المتأخّر لفظاً و المتقدّم رتبة ، و الدّليل على ذلك اتفاق النّحاة على جواز(ضَرَبَ غُلاَمَهُ زَيْدٌ)[6].

و لايجوز تقديم الخبر الجملة الفعليّة إلّا أَنْ يحمل ضميراً يعود على المبتدأ المتأخّر نحو:(ضَرَبُونِيْ قَوْمُكَ).و يعلّق عبّاس حسن على هذه المسألة ، بأنّه لا يجوز تقديم الخبر الجملة الفعليّة الذّي لا يحمل ضَمِيراً يعود على المبتدأ ، بخلاف ما لوكان الفاعل إسْماً ظاهِراً أو ضَمِيراً بارِزاً نحو : (تَتَحَرَّكُ كَوَاكِبُهَا السَّمَاءُ) و(قَدْ أَضاءَ النَّجْمانِ)،فتُعْرَبُ الجملة الفعليّة هنا(تتحرّك كواكبها)خبراً متقدّماً ؛ لاشتمالها على ضمير يعود على المبتدأ(السّماء)فرجوع الضّمير إلى كلمة(السّماء) دليل على أنَّها متأخّرة في

[1]-ينظر :التبريزي الخطيب، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ط4 ، دار المعارف . (د . ت) .ص123 .
[2]-ينظر :ابن يعيش ، شرح المفصل ،ج1 ، عالم الكتب ، بيروت . (د.ت) .ص99 .
[3]-ينظر :ابن يعيش، شرحالمفصل، ج1، عالم الكتب،بيروت. (د.ت). ص99.
[4]- إبنيعيش، شرحالمفصل، ج1، عالم الكتب،بيروت. (د.ت). ص92.
[5]- إبن يعيش، شرح المفصل، ج1، عالم الكتب،بيروت. (د.ت)ص92.
[6]-ينظر :الأنباري ، أسرار العربية ،ج1 ، مطبعة الترقي ، دمشق . (1957م) .ص71 .

التّرتيب اللّفظي فقط، دون التّرتيب الإعرابي ، وهذا يسمّى " الرّتبة " ؛ لأنَّ الضّمير لا يعود متأخّر لفظاً و رتبةً[1] ، و في الخبر شبه الجملة يجوز أنْ يتقدّم الخبر على المبتدأ المعرفة فيقال مثلاً :(في الدَّارِ زَيْدُ) كما يجوز أنْ يتقدّم إذا كان حاملاً لضمير المبتدأ نحو: (في دارِهِ زَيْدُ) ، و ذلك لأنَّ ؛ الضّمير في قولك: (في دارِهِ زَيْدُ) غير مُعْتَمَدْ عليه ، فالمقصود(في الدّارِ زيد[2]) . ويجب أنْ يتقدّم الخبر إذا كان شبه جملة و المبتدأ اسم نكرة نحو : (في الدّارِ صديقٌ).

و الكوفيّون في منعهم تقديم الخبر على المبتدأ مفرداً كان أو جملة أو شبه جملة ، لا يَعْتَدُونَ بأنَّ رتبة المبتدأ الأصليّة أنْ تكون متقدّمة على الخبر ، و بعودة الضّمير على اسم مفسّر متأخّر في اللّفظ متقدّم في الرّتبة ، و هيّ عودة يَعْتَدُّ بها البصريّون . وتَنَاسى الكوفيّون في هذا المنع ما في الكلام العربي من شواهد منها قول العرب في المثل : (في بَيْتِهِ يُأْتَى الحَكَمُ)[3] ، على أنَّ (الحَكَمُ) مبتدأ مؤخّر في اللّفظ ، وقولهم: في أَكْفَانِهِ لُفَّ الميّتُ ، و مَشْنُوءُ مَنْ يَشْنَؤُكَ، و تمِيمِيٌّ أنا[4] . وغير ذلك ممّا أثَّر عن العرب من هذا النّحو[5].وذهب ابن جنّي في كتابه[الخصائص] إلى أنّه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، يقول:" و مِمَّا يَصِحُّ ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ ؛ نحو : قائم أخوك و في الدّارِ صَاحِبُكَ"[6]. وهو بذلك يوافق البصريين في هذه المسألة.

واشْتَرَطَ ابن هشام في تقديم الخبر شبه الجملة أنْ يُفيدَ الاختصاص يقول : " أنْ يكون خبرها ظرفاً أو مجروراً ، قال ابن مالك : أو جملة نحو قوله تعالى : [[وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ

---

[1]- ينظر :حسن عباس ، النحو الوافي ، ط1 ، آوند دانش للطباعة و النشر و التوزيع . (2004م) .ص450 .

[2]- ينظر :السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع مؤسسة الرسالة ،ج2 ، بيروت ، ط2 ، (1987 م) .ص37 .

[3]-ينظر : العسكري، جمهرة الأمثال، ج2 ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ،1983 م، ص101 .

[4]-ينظر :الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ، ط4 ، مطبعة السعادة ، القاهرة . (1961م) .ص65-66 .

[5]- المصدر السابق ص66-67 .

[6]- ابن جني ، الخصائص ، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط3 .(1986م) .ص384 .

]][1]. وقوله تعالى : [[لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ]][2] ، و قول العرب (قَصَدَكَ غُلَامُهُ رَجُلٌ) و شرط الخبر فيهن الاختصاص ، فلو قيل (في دارٍ رَجُلُ) لَمْ يَجُزْ ؛ لأنَّ الوقت لا يخلو عن أنْ يكون فيه رجل ما في دار ما ، فلا فائدة في الإخبار بذلك ، و أقول : إنّما وَجَبَ التّقديم هنا لدفع تَوَهُّمْ الصّفة ، و اشتراطه هنا يوهم أنَّ له مدخلاً في التّخصيص "[3] يتقدّم خبر شبه الجملة لكونه يفيد الإختصاص و يوجب أيضاً للصّفة .

و قد وافق البلاغيّون النّحويين في جواز تقديم الخبر الذّي يَحْمِلُ الضّمير العائد إلى الاسم المتأخّر الذّي يأتي مبتدأ و جعَلَ " العَلَوِيُّ "تقديم خبر المبتدأ عليه في نحو قولك : (قائم زيد)في(زيد قائم) إحدى صور التّقديم و التّأخير الجائزة في كلام العرب[4].

كذلك اتجه البلاغيّون في تقديم الخبر المعرفة على المبتدأ المعرفة اتجاهين : الاتجاه الأوّل وافقوا فيه النّحويين على أنَّ الاسم المتقدّم المعرفة لا يأتي إلّا مبتدأ ، عندما تَنْتَفِيْ القرائن التّي تميّز الخبر من المبتدأ ، و الاتجاهالثّانيّ لم يوافقوا النّحويين في أنَّ اسم المعرفة المتقدّم لا يأتي إلّا مبتدأ، بل قالوا إنَّ الاسم المعرفة المتقدّم قد يَخْرُجُ عن كونه مبتدأ إلى كونه خبر[5].

سار عبد القاهر الجرجاني في الاتجاه الأوّل مؤيّداً النّحويين في اعتبارالاسم المعرفة المتقدّم مبتدأ فقط و ذلك عندما صرّح بأنَّ التّقديم يكون على وجهين : التّقديم على نيّة التّأخير ، والتّقديم لا على نيّة التّأخير ، حيث يَنْتَقِلُ فيه الاسم من موقع من موقع إلى آخر مع تغيير حالته الإعرابيّة ، يقول :"تُجِيءُ إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أنْ يكون مبتدأو يكون الآخر خبراً له ، فتقدَّمَ تارة هذا على ذاك ، و أخرى ذاك على هذا

---

[1]- سورة ق ، الآية 35 .

[2]- سورة الرعد ، الآية 38 .

[3]- ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، المكتبة العصرية ، بيروت. (1987م) .ص611 .

[4]- ينظر : يحي العلوي ،الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم الإعجاز ، ج2 ، مطبعة المقتطف ، مصر1914ص68 .

[5]-ينظر :الشطناوي مها، أسلوب التقديم و التأخير بين النحو البلاغة شعر الهذليين نموذجا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، الأردن . (1998م) .ص43 .

و مثاله : مَاتَصْنَعُهُ (بِزَيْدٍ)و (المنطلق) حيث تقول مرّة (زيد المنطلق) و أخرى (المنطلق زيد) فأَنْتَ في هذا لم تقدّم المنطلق على أنْ يكون مَتْرُوكاً على حكمه الذّي كان عليه مع التّأخير ، فيَكون خبر المبتدأ كما كان ، بل أَنْ تُخْرِجُهُ عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً "[1].و القول نفسه مع السّكّاكي في هذه المسألة ، إذْ يرى أَنَّ الاسم المتقدّم المعرّف لا يأتي إلّا مبتدأ ، و رفض الاسم الدّال علىالذّات هو المبتدأ ، و الاسم الدّال على أمر نسبيّ لا يَكُونُ إلّا خبراً ، و يقول في ذلك**:** " و إذا تأمَّلْتَ ما تَلَوْتَهُ عليك أَعْثَرَكَ على معنى قول النّحويين : لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ ، إذا كانا معرفتين معاً ، بل أيّهما قدّمت فهو المبتدأ ، و ما قد سبق إلى بعض الخواطر من أَنَّ (المنطلق) دالّ على معنى نسبيّ فهو في نفسه متعيّن للخبريّة ، و أَنَّ (زيداً) دالّ على الذّات فهو متعيّن للمبتدإيّة تقدَّم َأو تأخّر ، فلا معرج عليه فإنَّ (المنطلق) لا يُعَجَّلُ مبتدأ إلّا بمعنى الشّخص الذّي له الانطلاق ، و أنّه بهذا المعنى لا يَجِبُ كونه خبراً ، و أنَّ(زَيْداُ) لا يوقع خبراً إلّا بمعنى صاحب اسم (زيد) ، و يَكُونُ المراد في قولنا (المنطلق زيد) الشّخص الذّي له الانطلاق صاحب اسم (زيد) "[2].

رأيت أنّه عند النّحويين إذا كان المبتدأ و الخبر معرفتين لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ .

و قد سار الرّازي في الاتجاه الثّانيّ فذهب إلى أنَّ الاسم الدّالّ على الصّفة هو الخبر ، و الاسم الدّال على الموصوف هو المبتدأ ، فأينما حَلَّ الاسم الدّالّ على الصّفة يكون خبراً و إنْ تقدّم " فالمبتدأ موصوف ، و الخبر صفة فكما وَجَبَ أنْ يَكونَ أحدهما في الوجود أَوْلَى بأَنْ يكون موصوفاً ، والآخر بأنْ يكون صفة فكذلك في اللّفظ فإذا قلنا : (

[1]- الجرجاني ،عبدالقاهر دلائل الإعجاز ، ط1 ، مكتبة سعد الدين ، دمشق . (1983م) .ص83-84 .
[2]- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ط1 ، دار الكتب العامية ، بيروت . (1983م) .ص414 .

اللَّهُ خَالِقُنَا) ، و (مُحَمَّدُ نَبِيُّنَا) ، فالخالِقِيَّةُ صفة للَّهِ تعالى ، و النُّبُوَّةُ صفة لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم فهما في الحقيقة متعيّنتان للخبريّة ، ولا يصلحان للمبتدئيّة "[1].

رأيت إذا تقدّم الخبر فالمبتدأ موصوف و الخبر صفة إذا دلّ الإسم على الصّفة فهو خبر و إذا دلّ على الموصوف فهو المبتدأ .

و تَنَبَّهَ بعض البلاغيين إلى القرينة المعنويّة التّي تُخْرِجُ الاسم المتقدّم عن الإبتدئيّة و تجعله خبراً. يقول الجرجاني:" إنَّ هَهُنَا استدلالا لطيفاً تَكْثُرُ بسببه الفائدة و هو أَنْ يتصوّر أَنْ يعمد عامد إلى نَظْمِ كلام بعينه فيُزِيلُهُ عن الصّورة التّي أرادها النّاظم له و يفسّرها عليه من غير أَنْ يحوّل منه لفظاً عن موضوعه ، أو يبدّله بغيره ، أو يغيّر شيئاً من ظاهر أمره على الحال ، مثال : ذلك أَنَّكَ إنْ قدرت في بيت أبي تمّام [2]:

لُعَابُ الأَفَاعِيْ القَاتِلَاتِ لُعَابُهُ و أَرْيُ الجَنَى إِشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

إنَّ (لعاب الأفاعي) ، و (لُعَابُهُ) خبر كما يوهمه الظّاهر ، لَأَفْسَدْت عليه كلامه ،(و أَبْطَلْتَ الصّورة التّي أرادها فيه ، و ذلك أَنَّ الغرض أَنْ يُشْبِهَ مِدَادُهُ برأي الجنّي)على معنى أنّه إذا كتب في العطايا و الصّلات أوصل به إلى النّفوس ما تحلو مذاقته عندها ، و أدخل السّرور و اللّذة عليها ، و هذا المعنى إنَّما يكون إذا كان (لعابه) مبتدأ ، و (لعاب الأفاعي) خبر ، فأمّا تقديرك أنْ يكون (لعاب الأفاعي) مبتدأ و (لعابه) خبر فيبطل ذلك ، ويمنع منه البَتَّةَ ، ويخرج بالكلام إلى ما لايجوز أَنْ يكون مراداً في مثل : غرض أبي تمّامّ ، و هو أَنْ يكون أراد أنْ يشبه (لعاب الأفاعي) بالمداد و يشبه كذلك (الأري) به "[3].

---

[1]- الرازي ، فخر الدين . نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، دار العلم للملايين . (1985م) .ص163 .

[2]-ينظر :التبريزي الخطيب، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ط4 ، دار المعارف . (د . ت) .ص123 .

[3]- االجرجاني ،عبدالقاهر دلائل الإعجاز ، ط1 ، مكتبة سعد الدين ، دمشق . (1983م) .ص324 .

و اتّبع البلاغيّون النّحاة في جواز تقديم الخبر (شبه الجملة)على المبتدأ . و ذلك نحو قولهتعالى : " لَهُ المُلْكُ"[1]. حيث تقدّم الخبر الجار و المجرور (له)على المبتدأ المعرفة (الملك)و أصل التّرتيب هو : (الملك له)[2].

و يتقدّم الخبر إذا كان شبه جملة على المبتدأ النّكرة[3].

أستنتج ممّا سبق أنَّ الخبر قد يتقدّم على المبتدأ جوازاً أو وجوباً ومن البديهي أنَّ مايوجب تقدّم الخبر يوجب تأخّر المبتدأ ، و كذلك الأمر في جواز التّقديم ، فإنَّ ما يجيز تقديم الخبر يجيز تأخير المبتدأ . و جواز التّقديم هو الغالب ، نحو: محمّد قادم/ قادم محمّد ؛ إذْ يُقَدِّمُ الخبر جوازاً عند الاهتمام به نحو : لِلَّهِ الحَمْدُ ، و من ذلك قول العرب: " في الطَّمْعِ المذَلَّةُ لِلْرِّقابِ "[4]فتقدّم الخبر(في الطّمع)على المبتدأ(المذلّة)؛ لِلَفْتِ انتباه المتلقّي إلى محور الحديث (الطّمع)، فمساوئ الطّمع كثيرة ، إلّا أنَّ المتكلّم أراد أنْ يخصّه ، فيجعله لسبب رئيسي لمذلّة الرّقاب ، فهو محطّ الاهتمام في الميل و يدلّ على ذلك تقدّمه على المبتدأ.

و يتقدّم الخبر جوازاً إذالم يحصل لُبْسْ " الأصل تقديم المبتدأ و تأخير الخبر وذلك لأَنَّ وصف في المعنى للمبتدأ فاستحق التّأخير كالوصف و يجوز تقديمه إذا لم يحصل لبس فتقول : (قائم زيد) و (قائم أبوه زيد) و (أبوه منطلق زيد) و (في الدّارِ زَيْدٌ) ، و (عندك عمرو).و جوّزوا التّقديم إذْ لا ضَرَرْ "[5].و تقديم الخبر في(قائم زيد) يفيد الاختصاص ، أيْ أَنَّ المسند إليه يختصّ بصفة دون غيرها . فالتّركيب الإسنادي في(زيد قائم)يتكوّن من المبتدأ(زيد) ، و من الخبر(قائم)، و كلا العنصرين في موقعيهما

[1]- سورة التغابن ، الآية 1 .
[2]-ينظر :ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا .(1995م)ص178 .
[3]-ينظر :السكاكي ، مفتاح العلوم ، ط1 ، دار الكتب العامية ، بيروت . (1983م) .ص220 .
[4]-الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 م ،ص95 .
[5]- صالح قاسم ، الظاهرة النحوية بين الزمخشري و أبي حيان مسائل من البحر المحيط ، رسالة ماجستر غير منشورة ، عمان . (1991م) .ص40 .

الثّابتين لهما ، و بهذا التّرتيب يقع في نفس السّامع أنَّ (زيداً) قد يتّصف بصفات أخرى غير صفة (قائم) ، بأَنْ يكون مثلاً قاعداً ، أو جالساً ، أو نائماً أمّا إذا عدل التّركيب عن ترتيب عناصره ، نحو :(قائم زيد)بتقديم الخبر (قائم) الذّي يحمل ضمير المبتدأ العائد عليه تذهب الاحتمالات ويختصّ بصفة واحدة دون غيرها ، يقول ابن الحاجب: " إذْ قال : (زيد قائم) ، تعلّق بنفس السّامع احتمالات شتى من أنّه قائم ، أو قاعد إلى مالا تحصى كثرة ، فإذا تقدّم الخبر ارتفع هذا الإشكال"[1].

و لتقديم الخبر وجوباً مسوّغات في النّحو منها ما يلي :

1-أنْ يكون المبتدأ نكرة محضة ، ولا مسوغ للابتداء به إلّا تقدّم الخبر المختصّ[2]، سواء أكان الخبر ظرفاً ، نحو : عِنْدَكَ كِتَابٌ ، وقوله تعالى : " و لَدَيْنَا مَزِيدٌ "[3] ، أم جاراً و مجروراً ، نحو: قوله تعالى : " و عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ "[4]. فتقدّم الخبر (عندك ، لدينا ، على أبصارهم)على المبتدأ و على التّوالي (كتاب ، مزيد ، غشاوة) ؛ لأنَّ المبتدأ نكرة و لا مسوغ للابتداء بها إلّا تقدّم الخبر ، و لأنَّ المبتدأ النّكرة إذا تأخّر عنه خبره الجملة أو شبه الجملة فقد يتوهّم السّامع أنَّ المتأخّر صفة ، لا خبر [5].

و من أمثلة ذلك في الأمثال العربيّة ، قول العرب :" في رِأْسِهِ خُطَّةٌ "[6].الخطّة : الأمر العظيم ، يضرب هذا المثل لمن في نفسه حاجة قد عزم عليها[7]. فتقدّم الخبر على المبتدأ وجوباً ؛ لأنَّ المبتدأ نكرة و لايجوزالابتداء بالنّكرة.

---

[1]- ابن الحاجب ، الإيضاح في شرح المفصل،ج1 ، مطبعة العاني ، بغداد . (1982م) .ص190 .
[2]-ينظر :حسن عباس ، النحو الوافي ، ط1 ، آوند دانش للطباعة و النشر و التوزيع . (2004م) .ص451 .
[3]- سورة ق ، الآية 35 .
[4]- سورة البقرة ،الآية 07 .
[5]-ينظر :حسن عباس ، النحو الوافي ، ط1 ، آوند دانش للطباعة و النشر و التوزيع . (2004م) .ص451 .
[6]- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 م ، ص84 .
[7]-ينظر : المصدر السابق ، ص84 .

و من قولهم : " في رَأْسِهِ نُعْرَةٌ "[1]. النّعرة : هيّ الذّباب يدخل في أنف الحمار ، و يضرب هذا المثل للطّامح الذّي لا يستقرّ ، على شيء[2]، فتقدّم الخبر (في رأسه)وجوباً ؛ لأنَّ المبتدأ (نعرة)نكرة و لا مسوغللابتداء بها إلّا تقدّم الخبر. فقدّم انسجاماً مع القاعدة النّحويّة التّي لا تجيز الابتداءبالنّكرة ، فلو قدّم المبتدأ لكانت شبه الجملة صفة و ليس خبراً وانْتَقَضَ المعنى المقصود ، و البنية العميقة للمثل(نعرة في رأسه)، ففي التّقديم تحوّل التّركيب من نص يحتمل التّأويل إلى نصّ يوجب إعراب المتأخّر مبتدأ و شبه الجملة خبر ، وبذلك يكون المعنى غير محتمل للّبس أو التّأويل.

و منه قولهم : " في الخَيْرِ لَهُ قَدَمٌ "[3] يريدون أنَّ له سابقة في الخير ، فتقدّم الخَبَرُ(في الخير)وجوباً ؛ لأنَّ المبتدأ(قدم)نكرة و لا مسوغ للابتداء بها إلّا تقدّم الخبر، و غيرها كثير من الأمثال العربيّة[4].

و قد جاءت بعض الأمثال على خلاف القاعدة النّحويّة ، فالمسوّغات التّي ذهب إليها النّحاة في تقديم الخبر لا توضّح حقيقة الابتداء بالنّكرة ففي المثل القائل : (شَرٌّ أَهَرٌّ ذَا نَابٍ)[5].تقدّم المبتدأ(شرّ)للتّوكيد على الرّغم من أنّه نكرة ، و لذلك تأوّل النّحاة هذا المثل تطويعاً له لقواعدهم ، فذهب سيبويهإلىجواز الإبتداء بالنّكرة في قولهم : " شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابِ"؛لأنَّ الكلام في المعنى المحصور ؛ أيّ : (ما أَهَرَّ ذَا نابٍ إِلَّاشَرٌّ)و مثله (شَيْءٌ ما جَاءَ بِكَ) و النّكرة هنا في المعنى المحصور أيضاً. وقد ابتدئ في الكلام على غير معنى الحصر، و على غير ما فيه معنى المنصوب، قال في مثل : أَمْتٌ في الحَجَرِ لا فيك. فعمله على أنّه إخبار محض،و جاز ذلك لأنّه مَثَلٌ. يقول سيبويه : " و

[1]- الأصمعي .الأمثال ، ط1 ، المكتبة الوطنية ، بغداد . (2000م) .ص187 .
[2]- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 م ، ص84 .
[3]- الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 م ، ص87
[4]-ينظر : المصدر السابق ، ص240 .
[5]- ينظر : الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص455.

أمّا قوله : شَيْءٌ ما جاءَ بِكَ ، و مثله مثل للعرب : (شَرٌّ أَهَرَّ ذا نابٍ) ، و قد ابْتُدِئَ في الكلام على غير ذا المعنى و على غير مافيه معنى المنصوب و ليس بالأصل ، قالوا في مَثَلٍ : (أَمْتُ في الحجرِ لا فيكَ)"[1].

و ذهب المبرّد في قولهم : (أمت في الحجر لا فيك)إلى أنّه أريد به معنى الدّعاء ، كأنّهم قالوا : جَعَلَ اللَّهُفي الحَجَرِ أُمَّتاً في الحَجَرِ لا فيكَ[2].

و احتجّ ابن السّراج بهذا المثل على جواز الابتداء بالنّكرة ، يقول :" فإذا قلت : ما أحسن زيداً ف (ما) اسم مبتدأ ، و (أحسن) خبره ، و فيه ضمير الفاعل ، و (زيد) مفعول به، و (ما) هنا اسم تامّ غير موصول ، فكأنَّكَ قلت : شَيْءُ حسن زيداً ، ولم تصف أنَّ الذّي حسنه شيء بعينه ، فلذلك لزمها أنْ تكون مبهمة غير مخصوصة ، كما قالوا : شَيْءٌ جَاءَكَ ، و كذلك شرٌّ أَهَرَّ ذا نابٍ ، أيّ ما أَهَّرَّ إلّا شَرٌّ "[3].

و ذهب ابن جني إلى أنَّ الابتداء بالنّكرة فيها إبراز التّوكيد فيه ، يقول :" ألا ترى أنَّكَ لو قلت : (أَهَرَّ ذا نابٍ شَرٌّ)، لكنّه على طرف من الأخبار غير مؤكّد ، فإذا قلت : (ما أهرَّ ذا نابٍ إلّا شَرٌّ) كان ذلك أوكد ، ألا ترى أنَّ قولك : (ما قام إلّا زيد) أوكد من قولك : (قام زيد) و إنّما احتيج إلى التّوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمراً عانِيّاً مُهِمّاً "[4].

رأيت إذا بدأت اجملة بالنكرة تكون مؤكّدة من طرف أما من جهة الإخبار فهي ليست مؤكّدة .

و لَجَأَ ابن يعيش في المثال السّابق إلى تقدير جملتين ليستقيم الابتداء بالنّكرة.

---

[1] -سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3، (1988م). ص.329

[2]-ينظر : محمود ياقوت، شرح جمل سيبويه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م، ص219.

[3]- ابن السراج، الأصول في النحو، ط3، مؤسسة الرسالة،بيروت. (1996م)ص207.

[4]- ابن جني،الخصائص، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط3. (1986م).ص319.

*الجملة الأولى : ما أضهرَّذا ناب إلّا شرّ ، وهذا التّقدير معمول على وجود حرف نفي محذوف.

*الجملة الثّانيّة : الكلب أَهَرَّهُ شَرٌّ[1]، و غرضهم النّهائي ليس الإخبار عن المبتدأ (شرّ)، وإنّما يريدون معنى الجملة الثّانيّة . فقولهم(شَرٌّ أَهَرَّ ذا نابٍ) فهو و إنْ كان مبتدأ من حيث الظّاهر فهو فاعل من حيث المعنى ، و المعنى (ما أضهَرَّ ذا نابٍ إلّا شَرٌّ)أيّ إنَّ الجملة إسميّة في بنيتها العميقة.

و يرى ابن هشام أَنَّ النّكرة وُصِفَتْ تقديراً في قولهم :(شَرٌّ أَهَرٌّ ذا نابٍ).يقول في [مغني اللّبيب]: "النّكرة الموصوفة تقديراً نحو : قولهم : (السَّمْنُ منوان بدرهَمٍ) أيْ منوان منه

وذهب عبد القاهر الجرجاني في تقديم(شرّ) إلى أنَّ المراد أنْ يعلم أنَّ الذّي أهرّ ذا النّاب هو من جنس الشّرّ لا جنس الخير ،يقول : " و قولهم : شَرٌّ أَهَرٌّ ذا ناب ، إنّما قدّم فيه شرّ) لأنَّ المراد أنْ يُعْلَمُ أنَّ الذّي أهرّ ذا النّاب هو من جنس الشّرّ لا جنس الخير) فجَرَى مجرى أنْ تقول : رجل جاءَنِيْ ، تريد أنّه رجل لا امرأة وقول العلماء إنّه إنّما يصلح لأنّه بمعنى (ما أَهَرَّ ذا نابٍ إلاّ شَرٌّ) بيان لذلك "[2].

و يوضّح الجرجاني رأيه بما ذهب إليه من أنّه :" لم نرد بما قلناه من أنَّه إنَّما حسن الإبتداء بالنّكرة في قولهم:(شَرٌّ أَهَرَّ ذا نابٍ) لأنَّهُ أريد به الجنس أنَّ معنى شرّ و الشّرّ سواءٌ ، وإنّما أردنا أنَّ الغرض من الكلامأَنْ نبيّن أنَّ الذّي أهرَّ ذا النّاب هو من جنس الشّرّ لا جنس الخير، كما أنَّ إذا قلنا في قولهم : أَرَجُلٍ أَتَاكَ أَمْ إمْرَأَةُ ؟، أنَّ السّؤال عن الجنس لم نرد بذلك أنّه بمنزلة أنْ يقال : الرّجل أم المرأة أتاك ، و لكن نعنى أنَّ المعنى

[1]-ينظر :ابن يعيش، شرحالمفصل، ج1، عالم الكتب،بيروت. (د.ت). ص86.
[2]- الجرجاني،عبد القاهر دلائلالإعجاز، ط1، مكتبة سعد الدين،دمشق. (1983م). ص161.

على أنَّك سألْتَ عن الآتي أهو من جنس الرّجال أم جنس النّساء ؟ فالنّكرة إذن : على أصلها من كونها لواحد من الجنس إلّا أنَّ القصد منك لم يقع إلى كونه واحداً و إنّما وقع إلى كونه من جنس الرّجال "[1].

إرتأيت أنه النكرة إذا كانت من جنس واحد فبالتّالي المقصود لم يكون نفسه .

و يبدو لي أنَّ ما ذهب إليه النّحاة من تفسيرات ، ما هو إلَّا تسويغ لمخالفة المثل للقاعدة النّحويّة التّي كان اهتمامهم فيها منصباً على تطويع الكلام لها ، و لا استبعد أنَّ المثل العربي مسوّغ للابتداء بالنّكرة ؛ لأنَّ الأمثال تُرْوَى بلفظها و يُرَاعَى فيها المعنى أكثر من مراعاة القاعدة ، و لهذا يمكن أنْ يكون الابتداء بالنّكرة لإبراز أهميّة المعنى للمبتدأ النّكرة ، و أنَّهُ هو العنصر المحوري في الجملة ، و لذلك لا محوج إلى تقديرات النّحاة ، و يعزّز ذلك قول النّحاة إنَّ المثل واحد من مسوّغات الابتداء بالنّكرة أو نمط من الأنماط اللّغويّة التّي تخرج على القواعد المطردة أحياناً يؤكّد ذلك قول سيبويه : " و جازَ ذلك لأنَّهُ مَثَلٌ "[2]

2-أنْ يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على مشتملات الخبر ، كقوله تعالى :" أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا "[3]فتقدّم الخبر (الجار و المجرور) وجوباً ؛ لاشتمال المبتدأ (أقفال) على ضمير يعود على (قلوب)، و هو جزء من الخبر ؛ فلا يصحّ(أم أقفالها على قلوب)، لئلّا يعود الضّمير على متأخّر لفظاً و رتبة ، و هو غير جائز.

و منه قول الشّاعر أبو محجن [4]:

أَهَابُكِ إِجْلَالاً ، و ما بِكِ قُدْرَةً عَلَيَّ ، و لَكِنْ مِلْئُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا

[1]- الجرجاني،عبد القاهر دلائلالإعجاز، ط1، مكتبة سعد الدين،دمشق. (1983م). ص151.
[2]- ينظر :سيبويه،الكتاب، ج1، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط3، (1988م). ص329.
[3]- سورة محمد، الآية 24.
[4]-ينظر :بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، دار الفكر. (1994م).ص212.

فتقدّم الخبر (ملئ عين) على المبتدأ (حبيبها) ؛ لاتصال المبتدأ بضمير يعود على جزء من الخبر و هو (عين)؛ فلو قُدِّمَ المبتدأ ؛ لزم عود الضّمير على متأخّر لفظاً ورتبة ؛ لأنَّ رتبة الخبر التّأخير ، و لذلك غير جائز.

و من أمثلة ذلك قولهم في المثل : " في بَطْنِ زَهْمَانَ زَادُهُ "[1]،(زهمان) : إسم كلب ، ويضرب هذا المثل للرّجل يطلب الشّيء و قد أخذه مرّة . فتقدّم الخبر (في بطن) وجوباً ؛ لأنَّ المبتدأ تَضَمَّنَ ضميراً عائِداً على أحد متعلّقات الخبر و هو المضاف إليه (زهمان) ، و المتكلّم أراد أَنْ يُؤَكِّدْ على وصول حقّ زهمان إليه ، و أنّه لا حقَّ له أَنْ يأخذ ما ليس له.

3-أَنْ يكون الخبر له صدارة الجملة ،كالاستفهام ، نحو : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ و متى السّفر ؟وكيف الحال؟ فتقدّم الخبر على التّوالي (أين ، متى ، كيف) و جوباً لأنّه من الألفاظ التّي لها حقّ الصّدارة في الكلام ، و كذلك الخبر الذّي ليس اسماستفهام بنفسه ، و لكنّه مضاف إلى اسماستفهام ، نحو: مُلْكُ مَنْ السّيارة؟[2] وصبيحة أيِّ يَوْمٍ سَفَرُكَ؟ فتقدّم الخبر (ملك، صبيحة) وجوباً على المبتدأ ؛ لأنّه مضاف إلى اسماستفهام و على التّوالي:(من ، أيّ).

4-أنْ يكون دالّاً على ما يُفْهَمُ بالتّقديم و لا يُفْهَمُ بالتّأخير ، نحو : لِلَّهِ درّك عالماً ، و الدرّ : اللّبن و المقصود من هذه الجملة المدح و التّعجّب معاً ؛ بسبب ما يدعيه المتكلّم من أَنَّ اللّبن الذّي رضعه المخاطب و نشأ عليه هو لبن خاص من عند الله هيّأه وحده لإعداد هذا المخاطب إعداداً ممتازاً ينفرد به[3].

[1]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج1، دار الجيل،بيروت، ط1 ،1983 م.ص100.
[2]-ينظر :حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م).ص452.
[3]-ينظر :حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م). ص453.

وقد التزم العرب في هذا النّمط من التّركيب بتقديم الخبر ، و من ذلك قولهم في المثل : (لِلَّهِ دَرُّهُ)[1] . أيّ خيره و عطاؤه و مايؤخذمنه ، هذا هو الأصل ، بما يقال لكلّ متعجّب منه. فالأصل هو تقدّم المبتدأ (دره)و تأخّر الخبر (لله)ولكن هذا التّغيير يجعل الجملة خبريّة لا تحمل معنى التّعجّب ، لذا قُدِّمَ الخبر للحفاظ على معنى التّعجّب في المثل و إخراجه في السّيّاق اللّغويّ الذّي يؤدّي المعنى الدّلالي المقصود.

5-أَنْ يستعمل في مَثَلٍ ؛ لأنَّ الأمثال لا تُغَيَّرُ [2]، فالأمثال لا يصح أنْ يدخلها تغيير لا في حروفها ، و لا في ضبطها ، و لا في ترتيب كلماتها . ومن ذلك قولهم في المثل : (في كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدِ)[3]. وقولهم : (في كُلِّ أَرْضٍ سَعْدُ ابْنُ زَيْدٍ)[4]. فقدّم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ، و قد وصل إلينا المثل على هذه الصّورة ، و لا يجوز تغييره ؛ لأنَّ الأمثال تحتفظ بشكلها التّركيبيّ الذّي قيلت فيه أوّل مرّة ، و يتناقلها النّاس بالصّورة نفسها ، و الفكرة التّي يحملها مثل ما في لغة ما ، تظلّ مفهومة منذ آلاف السّنين حتى يومنا هذا لا تتبدّل و لكن الذّي يتغيّر صورتها التّعبيريّة ، و تتناقل الأجيال هذه الفكرة من جيل إلى جيل ، ومن فمّ إلى فمّ قبل أنْ يعرف الإنسان الكتابة فيقوم بتدوينها[5].

فالأمثال لها خاصيّة في التّراكيب ، حيث تحتفظ بصورة معيّنة في الآداء اللّغوي ، و تحافظ على هذه[6]الصّورة ؛ لأنَّ المعنى الذّي تقال فيه يكون أبلغ و هو في صورته التّي قيل فيها ، ولهذا تحتفظ الأمثال بقيمتها الجماليّة و التّعبيريّة من خلال الصّورة التّي

[1]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص227.
[2]-ينظر :السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع مؤسسة الرسالة، ج1،بيروت، ط1، (1987 م). ص387.
[3]-ينظر :العسكري، جمهرةالأمثال، ج1، دار الجيل،بيروت، ط1 ،1983 م.ص61.
[4]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص99.
[5]-ينظر :عبد الرحمن،عفيف. الأمثال العربية القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد 3، العدد 10، جامعة الكويت، (1983م).ص13.
[6]-ينظر :العسكري، جمهرةالأمثال، ج1، دار الجيل،بيروت، ط1 ،1983 م.ص44.

قيلت فيها بَعِيداً عن معايير النّحو و ضوابط النّحاة ، و أقيستهم ، و لهذا عُدَّ المثل واحداً من مسوّغات الخروج على الأصل التّركيبي القيّاسيّ.

و من الأمثلة التّي جاءت على خلاف التّرتيب الإفتراضيّ، قولهم : (عِنْدَ جُفَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِيْنُ)، حيث تقدّم الخبر جوازاً ،و ورد المثل عند الميدانيّ باسم آخر و هو (جُفَيْنَةَ)[1] و قد قيل هذا المثل في معرض حادثة قُتِلَ فيها رجل و لم يُعْلَمُ القاتل ، و قد تقدّم الخبر (عند جفينة)على المبتدأ(الخبر) و الأصل فيه التّأخّر ؛ لأنّه محور المعنى و العنصر الذّي يُشْغِلُ ذهن المتلقّي ، فلو تقدّم المبتدأ على الخبر لفقدت الجملة وقعها في نفس المتلقّي من ناحيّة المعنى لا سيما أنَّ تقدي المبتدأ في هذا المثل يعني أنَّ الخبر (عند جفينة) و قد يكون عند غيرها ، أمّا مع تقديم الخبر فقد برز العنصر الذّي يشغل ذهب المخاطب ، وهو جفينة فإنتفى كون الخبر عند غيرها. و منه قولهم : (مِنَ الخَوَاطِئِ سَهْمٌ صَائِبٌ)[2] ، إذ تقدّم الخبر جوازاً ، و يضرب هذا المثل للذي يخطئ مِرَاراً و يصيب مرّة وقال أبو عبيد : يضرب قوله(من الخواطئ) للبخيل يُعْطِيْ أَحْياناً على بُخْلِهِ[3] .فقدّم خبر المبتدأ (من الخواطئ)على المبتدأ (سهم) ؛ لأنّه أهمّ وأبلغ ، فمساوئ الخطأ كثيرة و قد توقع في العقوبة ، وفي تقديم الخبر أيضاً لفت انتباه للمتلقّي إلى محور الحديث (الخواطئ) ، و لو قدّم المبتدأ لما لفت انتباه المتلقّي إلى (الخواطئ) و أصبح المثل أقلّ أهمية من حيث المعنى ؛ و لأنَّ هذا المثل يضرب في كثرة الخواطئ قدّم الخبر لأهميته ، و لأنَّهُ يمثّل العنصر المحوري أو بؤرة الجملة من حيث المعنى.

[1]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص06.
[2]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص331.
[3]-ينظر : المصدر السابق ص331.

و منه قولهم : (حَوْلَ الصِّلِّيَانِ الزَّمْزَمَةُ)[1] ،و الصليان من الطّريفة يَنْبُتُ صُعْداً ، و هو يُخْتَلَى للخيل التّي لا تفارق الحيّ ، و الزّمزمة: الصوت ، يعني صوت الفرس إذا رآه ، و يضرب هذا المثل للرّجل يُخْدَمُ لثروته [2]. فتقدّم الخبر (حول الصليان) جوازاً على المبتدأ (الزّمزمة) ؛ للتّنبيه و لفت انتباه المتلقّي إلى محور الحديث (حول الصليان) ، و لو قدّم المبتدأ لما لفت انتباه المتلقّي إلى (حول الصليان) ، و أصبح المثل أقلّ أهميّة من حيث المعنى ، فقدّم الخبر ؛ لأنّه يمثّل العنصر المحوري أو بؤرة الجملة من حيث المعنى.

الأمثلة التّي تقدّم الخبر فيها جوازاً حسب القاعدة النّحويّة ، تكون في الأمثال وجوباً ، و لا يجوز أنْ تتغيّر عن صورتها الأصيلة ، فهي جائزة التّقديم حسب القاعدة النّحويّة ، غير أنّها واجبة الحفاظ على صورتها ؛ لأنّها من الأنماط التّي لها رتبتها و ترتيبها عند النّحاة ، فلا يحقّ لنا مَثَلاً القول: الخَبَرُ اليقين عند جفينة ، أو القول : سهم صائب من الخواطئ ؛ لأنَّ ذلك فيه تحريف للأمثال و تغيير لم يُجِزْهُ النّحاة.

2/1تقديم خبر (إنَّ) و أخواتها :

الأصل في ترتيب عناصر الجملة الإسميّة التّي تدخل عليها الحروف النّاسخة البدء بالحرف النّاسخ ، في الاسم ، في الخبر ، و لا يترك أيٌّ من هذه العناصر مكانه إلّا بمسوّغ ؛ لأنَّ الحرف النّاسخ جامد لا يتصرّف تصرّف الأفعال النّاسخة التّي أُجيزَ للخبر أنْ يتقدّم على أسمائها و عليها ، و لذلك عُدَّتْ من ذوات الرّتب المحفوظة ، إلَّا إذا جاء خبر هذه الحروف شبه جملة ، نحو : (إنَّ مُحَمَّداً عندكَ) ، و (إنَّ عندكَ مُحَمَّداً).

[1]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص268.
[2]- المصدر السابق ص268.

و إنْ كانت هذه الحروف بمنزلة الأفعال ، إلّا لأنّها لم تتصرّف كما تتصرّف الأفعال لذلك "لا يجوز أنْ تقول : إنَّ أَخُوكَ عَبْدَ اللَّهِ ، على حد قولك : إنَّ عَبْدَ اللَّهِ أخوك ، لأنّها ليست بفعل و إنّما جعلت بمنزلته فكما لم تتصرّف (إنَّ) كالفعل كذلك لم يجز فيها ما يجوز فيه ، ولم تقو قوته "[1].و إلى مثل هذا الرّأي ذهب المبرّد في عدم تصرّف إنَّ و أخواتها ؛ لأنّها حرف جامد لا تقول فيه ، فَعَلَ ، و لا فَاعِلْ ؛ كما كنت تقول في (كان) : يكون ، و هو كائن، و غير هذا من الأمثلة ، و لَكِنّ إن كان الذّي يليها ظَرْفاً فكان خبراً ، أو غير خبر جاز .و ذلك :" إنَّ في الدَّارِ زَيْداً ، و إنَّ في الدّارِ زَيْداً قَائِمُ ".

و أيَّدَ ذلك ابن السّراج في مسألة عدم تقديم الخبر على اسم إنَّ و أخواتها ، معلّلاً ذلك بعدم التّصرّف[2].

و القول نفسه مع ابن يعيش في أنَّ هذه الحروف جامدة غير متصرّفة ، و لايجوز تقديم خبرها و لا اسمها عليها و لاتقديم الخبر فيها على الاسم ، و ذلك لعدم تصرّف هذه الحروف و كونها فروعاً على الأفعال في العمل ، فانحطت عن درجة الأفعال فجاز التّقديم في الأفعال نحو : (قَائِماً كانَ زَيْدُ) ، و (كانَ قائِماً زَيْدُ) ، و لم يجز ذلك في هذه الحروف[3] .

و فَسَّرَ ابن يعيش جواز تقدّم الخبر إذا كان شبه جملة بأنّهم توسّعوا في الظّروف و خصّوها بذلك لكثرتها في الاستعمال، و إلى ذلك ذهب ابن هشام إذْ لا يجوز عنده توسّط الخبر بين العامل و اسمه ، و لا تقديمه عليهما كما جاز في باب كان ، و لا يقال: إنَّ قائِمٌ زَيْداً ، كما يقال : كانَ قَائِماً زَيْدُ ، و الفرق بينهما أنَّ الأفعال أمكن في

[1]- سيبويه،الكتاب، ج1، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط3، (1988م). ص59.
[2]-ينظر :ابن السراج، الأصول في النحو، ط3، مؤسسة الرسالة،بيروت. (1996م).ص231.
[3]-ينظر : ابن يعيش، شرحالمفصل، ج1، عالم الكتب،بيروت. (د.ت).ص103.

العمل من الحروف؛ فكانت أَحْرَى لأَنْ يُتَصَرَّفْ في معمولها ، و يستثنى من ذلك ما كان فيه الخبر ظرفاً ، أو جاراً و مجروراً[1]، كما في قوله تعالى: " إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً "[2] ، و قوله تعالى : " إِنَّ في ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى "[3].

و على الرّغم من هذه الرّتبة المحفوظة إلّا أَنَّ الاستعمال اللّغويّ جاء في بعض أنماطه موجباً لمخالفة الرّتبة ، إذْ يوجد بعض المواضع التّي يكون معها الخبر مقدّماً ، و من الموانع التّي تُوجِبُ تقديم خبر إنَّ و أخواتها على الاسم أنْ يكون في الاسم ضمير يعود على شيء في الخبر ، نحو : إنَّ في الصَّفِ طُلّابُهُ ،فاسم النّاسخ(طلّاب) مشتمل على ضمير يعود على بعض الخبر ؛ لأنَّ الخبر هو الجار مع مجروره ، و الضّمير عائد على المجرور وحده، و من الموانع أيضاً اقتران الاسم بلام الابتداء ، نحو : (إنَّ في الاتحاد لَقُوَّةٌ) ، و لذلك يتأخّر الاسم لئلا يلتقي حرف التّوكيد مع الحرف النّاسخ[4].

و من الأمثلة العربيّة التّي يتوسّط فيها خبر النّاسخ بين النّاسخ و اسمهيقول العرب : (كأَنَّ على رُؤُوسِهِمْ الطَّيْرَ)[5]، و هذا مثل مأخوذ من القرآن الكريم ، و يضرب هذا المثل للسّاكن الوادع ، فتوسّط الخبر الجار و المجرور (على رؤوسهم) بين النّاسخ و اسمه جوازاً ليؤدّي غرضاً دلاليّاً و هو الاهتمام به ، و لو تقدّم اسم كأَنَّ (الطّير)على الخبر لقلّت أهمية اخبر من حيث المعنى و قلّ تبعاً لذلك الاهتمام به ، فلمّا أريد إبراز الخبر و هو (على رؤوسهم) و ليس على مكان آخر قُدِّمَ الخبر لأهميته و اختصاصه.

[1]-ينظر :بن هشام شرح قطر الندى وبل الصدى، ط1 مطبعة السعادة، مصر. (1963م). ص162-163.
[2]- سورة المزمل، الآية 12.
[3]- سورة النازعات، الآية 26.
[4]-ينظر :حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م).ص504-505.
[5]- الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص175.

و منه قول العرب : (إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً)[1]، و يضرب هذا المثل في استحسان المنطق و إيراد الحجّة البالغة. حيث توسط الخبر (من البيان) بين النّاسخ و اسمه وجوباً ؛ لاقترانالاسم باللام المزحلقة زيّادة على أنَّ اسم إنَّ نكرة و الخبر شبه جملة.

و مثله قولهم : (إنَّ تَحْتَ طِريقَتِكِ لَعِنْدَأْوَةٌ)[2]. الطِّرَقُ : الضّعف و الاسترخاء و العندأوة : من عَنِدَ إذا عَدِلَ عن الصّواب و خالف وردَّ الحقّ، حيث توسط خبر إنَّ (تحتطرّيقتك) بين النّاسخ و اسمه وجوباً ؛ لاقترانالاسم باللّام المزحلقة ، زيّادة على أنَّ اسم إنَّ نكرة و الخبر شبه جملة.

و منه قولهم : (إنَّ لِلَّهِ جُنُوداً مِنْهَا العَسَلُ)[3] ، و يضرب هذا المثل عند الشماتة بما يصيب العدو ، و قد قاله معاويّة لما سمع أنَّ الأشتر سُقِيَ عَسَلاً فيه سُمٌّ. فتقدّم الخبر انسجاما مع القاعدة النّحويّة التّي تجيز تقديم الخبر إذا كان شبه جملة ، زيّادة على ما في ذلك من التّخصيص من أنَّ الجنود لله لا لغيره ، فقدّم الخبر تحقيقاً لهذا المعنى و تأكيداً له.

و منه قولهم : (إنَّ بَيْنَهُمْ عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةً)[4] العيبة: واحدة العِيَابِ و العِيَبِ ، و هي ما يُجْعَلُ فيه الثّيّاب، و مكفوفة : مُشَرَّجَةٌ، و معنى المثل أنَّ أسباب المودّة بينهم لا سبيل إلى نقضها ، حيث توسّط خبر إنَّ (بينهم) بين النّاسخ و اسمه جوازاً ، للتّخصيص من أنَّ العيبة المكفوفة بينهم لا بين غيرهم.

---

[1]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج1، دار الجيل،بيروت، ط1 ،1983 م.ص13.
[2]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص46.
[3]- المصدر نفسه، ص40.
[4]- المصدر السابق، ص74.

و منه قولهم : (لَعَلَّ لَهُ عُذْراً و أَنْتَ تَلُومُ)[1]. يضرب هذا المثل لمن يلوم من له عذر و لايعلمهاللّائم ، فتوسّط الخبر (له) بين النّاسخ و اسمه وجوباً ؛ لأَنَّ اسم لَعَلَّ نكرة و الخبر شبه جملة.

ومثله قولهم : (لَيْتَ لَنَا مِنْ فَارِسَيْنِ فَارِساً)[2]. يضرب هذا المثل عند الرّضا بالقليل ، حيث توسّط خبر لعلَّ (لَنا) بين النّاسخ و اسمه ، و فُضِلَ بينهما بشبه الجملة (من فارسين) وجوباً ؛ لأنَّ اسم لعلَّ نكرة و الخبر شبه الجملة.

و منه قولهم : (يَالَهَا دَعَةً لَوْ أَنَّ لِيْ سَعَةٌ)[3] . أيّ أنا في دعة و لكن ليس لي مال فأَهُنَا بِدَعَتِيْ، فتوسّط خبر أنَّ (لي) بين النّاسخ و اسمه وجوباً ؛ لأنَّ اسم أنَّ نكرة و الخبر شبه جملة ، و غيره كثير من الأمثال .

إنَّ هذه الأمثال و غيرها ممّا تقدّم فيها خبر الأحرف النّاسخة انسجاما مع القاعدة النّحويّة ، نجد فيها سبباً آخر للتّقديم و هو أنّها أمثال لها رتبتها الخاصّة بها التّي لا يجوز تغييرها ، و من هنا اكتسبت القيمة التّعبيريّة لدلالة المثل الذّي يحافظ على النّحو الذّي وصلنا إليه.

المبحث الثّاني : مظاهر التّقديم و التّأخير في باب المنصوبات

1-1تقديم المفعول به:

الأصل في المفعول به أنْ يتأخّر عن الفعل و فاعله ، فيذكر بعدهما لأنّه فضلة في التّركيب الإسنادي ، و قد يتغيّر موقعه الإفتراضي ، فيتوسطّ عنصرين أو

[1]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص228.
[2]-ينظر : المصدر السابق، ص236.
[3]- ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م ، ص498.

يتصدّر جملة ، فيتقدّم المفعول على الفاعل وحده ، نحو : قوله تعالى :" و لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ "[1] ، و قد يتقدّم الفعل و فاعله ، نحو : قوله تعالى **:** " فَرِيقاً هَدَى "[2].

أ-تقديمالمفعولبهعلىالفاعل:

يتقدّم المفعول به على الفاعل وجوباً لمسوّغات هيّ :

1-أَنْ يتّصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به ،نحو : صَانَ الثَّوْبَ لَابِسُهُ ، و قَرَأَالكِتَابَ صَاحِبُهُ. فلو تأخّر المفعول به لعَادَ الضّمير على المتأخّر لفظاً ورتبة، وهذا ممّا لا يُجِيزُهُ النّظام النّحويّ. ومنه:قولهتعالى**:**" وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ "[3]، حيث تقدّم المفعول به (إبراهيم)وجوباً على الفاعل (ربّه)لَئَلَّى يعود الضّمير على المتأخّر لفظاً و رتبة.

يقول ابن السّراج في ذلك:((قال اللّهُ عزوجلّ: " وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ " و هذه المسألة في جميع أحوالها لم تقدّم مُضْمَراً على مظهر إنّما جِئْتُ بالمضْمَرْ بعد المظهر إذا إسْتَغْنَيْتَ عن إعادته فلو قدّمت فقلت : (ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدٌ) تُرِيد: ضَرَبَ زَيْداً غُلَامُهُ ، لم يجز لأنَّك قدّمت المضمر على الظّاهر في اللّفظ و الرّتبة لأَنَّ حَقَّ الفاعل أنْ يكون قبل المفعول ، فإذا كان في موضوعه و على معناه فليس لك أنْ تنوي به غير موضعه ، إنّما تنوي بما كان في غير موضعه))[4]. وذهب الزّمخشري إلى أنَّ " الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التّقدير فتعليق الضّمير به إضمار قبل الذّكر ، قلت : الإضمار قبل الذّكر أنْ يقال : ابتلى رَبُّهُ إِبْرَاهِيمَ ، فَأَمَّا إِبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ أو إِبْتَلَى رَبَّهُ إِبْرَاهِيمُ فليس واحد منهما بإضمار قبل الذّكر ، أمّا الأوّل فقد ذكر فيه صاحب الضّمير قبل الضّمير

[1]- سورة القمر، الآية 41.
[2]- سورة الأعراف، الآية 30.
[3]- سورة البقرة الآية 124.
[4]- ينظر :ابن السراج، الأصول في النحو، ط3، مؤسسة الرسالة،بيروت. (1996م). ص238.

ذكراً ظاهراً ، و أمّا الثّاني فإبراهيم فيه مقدّم في المعنى ، و ليس كذلك ابْتَلَى رَبَّهُ إبراهِيمُ ، فإنَّ الضّمير فيه قد تقدّم لفظاً و معنى فلا سبيل إلى صحّته "[1].

إرتأيت أنَّ الإضمار قبل الذّكر يكون الضمير ظاهراً و بالتّالي الضّمير يتقدّم من ناحية اللّفظ.

و ذهب ابن عطيّة إلى أنَّ تقديم المفعول به للاهتمام بمن وقع عليه الابتلاء إذْ معلوم أنَّ الله تعالى هو المبتلي ، و إيصال ضمير المفعول به بالفاعل موجب لتقديم المفعول به[2] ، و يقول السّمين الحلبي في كتابه{الدر المصون} : " و (إبراهيمَ) مفعول مقدّم ، و هو واجب التّقديم عند جمهورالنّحاة ؛ لأنّه متى اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وَجَبَ تقديمه لئلّا يعود الضّمير على المتأخّر لفظاً و رتبة " [3]، و منه قول الشّاعر[4] :

حَدِيثَ ذَوِيْ الأَلْبَابِ أَهْوَى و أَشْتَهَى كَما يَشْتَهِي الماءَ المُبَرَّدَ شَارِبُهُ

فتقدّم المفعول به(الماء) وجوباً ؛ لاشتمال الفاعل (شارب)على ضمير يعود على المفعول به و منه في الأمثال قولهم :" أَحْرَزَ امْرَأً أَجْلُهُ "[5] ، حيث تقدّم المفعول به (امرأ)وجوباً على الفاعل ؛لاتصال الفاعل (أجله)بضمير (الهاء) العائد على المفعول به.

و منه قولهم : (غَلَّ يَداً مُطْلِقُهَا ، و استرق رَقَبَةَ مُعْتِقُهَا)[6]و يضرب هذا المثل لمن يستعبد بالإحسان إليه.

---

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة،بيروت. (د.ت)، ص308-309.
[2]-ينظر :أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م).ص545.
[3]- الحلبي السمين. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ط1، دار القلم،دمشق. (1986م). ص96.
[4]-ينظر :حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م).ص87.
[5]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص278.
[6]-ينظر : المصدر السابق، ج2، ص72.

حيث تقدّم المفعول به (يَداً ، رَقَبَةَ) على الفاعل و على التّوالي (مطلقها ، معتقها) وجوباً انسجاما مع القاعدة النّحويّة التّي توجب تقدّم المفعول به إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود عليه، و كذلك لرعاية حسن النّظم و موسيقاه ، و زيّادة على ذلك قد يكون المتكلّم يقصد إبراز الاستعباد لذلك قدّمه على الفاعل لاسيما أنَّ المستعبدين هم مدار امثل و محور معناه ، و ليس المعتقين.

2- و من المواضعالتّي يتقدّم فيها المفعول به على الفاعل وجوباً أنْ يحصر الفاعل بإنَّمَا أو إلّا المسبوقة بالنّفي ، نحو : لَا يَنْفَعُ المرْءُ إلّا العَمَلُ الحَمِيدُ ، إنّما يَنْفَعُ المرْءَ العَمَلُ الحَمِيدُ[1]. ومنه قوله تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ "[2]؛ فتقدّم المفعول به (الله)على الفاعل (العلماء)وجوباً ؛ لانحصارالفاعل ب (إنّما) ؛ لأنَّ المعنى : مَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا العُلَمَاءُ ، و قد ذهب بعض البصريين إلى منع تقديم المحصور مطلقاً ، و اختاره الجزولي و الشّلوبيين حَمْلاً ل (إِلَّا)على (إِنَّمَا) ، و ذهب الجمهور من البصريين و الفَرَّاءْ و الأنباري إلى منع تقديم الفاعل المحصور ، و أجازوا تقديم المفعول المحصور ؛ لأنّه في نيّة التّأخير[3] . غير أنَّ الكسائي أجاز التّقديم المحصور بإِلَّا محتجّاً بقول الشّاعر :

مَا عَابَ إِلَّا لَئِيمٌ فِعْلَ ذِيْ كَرَمٍ وَ لَا جَفَى قَطَّ إِلَّا جُبَّأُ بَطَلَا

فتقدّم الفاعل المحصور بإِلَّا (لئيم ، جبّأ) في الموضعين ، و منه قول الشّاعر[4] :

فَلَمْ يَدْرِ إِلَّا اللَّهُ مَا هَيَّجَتْ لَنَا عَشِيَّةَ أَنَاءُ الدِّيَّارِ وَ شَامُهَا

[1]-ينظر :حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م).ص88.
[2]- سورة فاطر، الآية 28.
[3]-ينظر :الأشموني، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج2، مكتبة الإيمان،المنصورة. (د.ت). ص79.
[4]-ينظر :بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، دار الفكر. (1994م).ص112-114.

فتقدّم الفاعل المحصور ب (إلَّا) لفظ الجلالة (الله) على المفعول (ما).

و يؤيّد ابن عقيل بقوله : " إذَا انحصر الفاعل أو المفعول ب(إلّا) أو ب(إنّما) وَجَبَ تأخيره ، و قد يتقدّم المحصور من الفاعل أو المفعول على غير المحصور، إذا ظَهَرَ المحصور من غيره ، و ذلك إذا كان الحصر ب (إلّا) فأمّا إذا كان الحصر ب (إنّما) فإنّه لا يجوز تقديم المحصور ؛ إذْ لا يَظْهَرُ كونه محصوراً إلّا بتأخيره ، بخلاف المحصور ب (إلّا) فإنّه يُعْرَفُ بكونه واقِعاً بعد (إلّا) ؛ فلا فرق بين أن يتقدّم أو يتأخّر "[1].

إرتأيت أنّه لا يجوز تقديم المحصور بإنّما بينما المحصور بإلَّا هنا الإختلاف .

و من الأمثال العربية التّي تقدّم فيها المفعول به وجوباً لحصر الفاعل بإنّما ، قولهم : " إنَّمَا خَدَشَ الخُدُّوشَ أَنُوشُ "[2] . الخدش : الأثر ، و أنوش : هو ابن شَيْثَ ابن آدم عليه السلام ، أَيْ أنّه أوّل من كَتَبَ و أَثَّرَ بالخط المكتوب ، و يضرب هذا المثل فيما قَدُّمَ عهده ، حيث تقدّم المفعول به (الخدّوش) وجوباً ؛ لأهمية الأثر الذّي تركه الخدوش قدّم المفعول به و أخّر الفاعل ؛ لبيان أنَّ من قام بهذا العمل هو (أنوش) وحده لا غيره ، فهو حصر يراد به التّخصيص من حيث الدّلالة .

3-أَنْ يكون المفعول به ضميراً متّصلاً و الفاعل اسما ظاهراً نحو : أَكْرَمَنِيْ زَيْدُ ، فتقدّم المفعول به (ياء المتكلّم) وجوباً ؛ لأنّه ضمير متّصل و الفاعل (زيد)اسم ظاهر ، ومنه قولهم في المثل : "أَوْرَدَهَا سَعْداً وَ سَعْدٌ مُشْتَمِلُ "[3] ، و

[1]- إبن عقيل، شرح إبن عقيل، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، الصيدا، 1995م، ص101.
[2]- المصدر السابق، ص49.
[3]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج1، دار الجيل،بيروت، ط1 ،1983 م.ص79.

يضرب هذا المثل لمن قَصَّرَ في الأمر ، حيث تقدّم المفعول به وجوباً على الفاعل (سعد)؛ لأنَّ الفاعل اسم ظاهر و المفعول به ضمير.

و منه أيضاً قولهم : " أَصَابَتْهُ حَطْمَةٌ حَتَّتْ وَرَقُهُ "[1] ، يضرب هذا المثل لمن تصيبه مصيبة تزلزل أركانه ، إذْ تقدّم المفعول به (الهاء)بالفعل (أصابته) على الفاعل (حطمة)وجوباً ؛ لأنَّ الفاعل اسم ظاهر و المفعول به ضمير .

ومثله قولهم : " طَرَقَتْهُ أُمُّ اللُّهَيْمَ ، و أُمُّ قَشْعَمُ "[2]. وهما المنيّة ، حيث تقدّم المفعول به(الهاء) في الفعل (طرقته) وجوباً على الفاعل (أمّ اللّهيم) ؛ لأنَّ الفاعل اسم ظاهر و المفعول به ضمير.

و منه قولهم : " لَا يَحْزُنْكِ دَمٌّ هَرَاقَهُ أَهْلُهُ "[3]، يضرب هذا المثل لمن يوقع نفسه في مهلكة ، و القول فيه كسابقة إذْ تقدّم المفعول به وجوباً في (يحزنك) و (هراقه).

إنَّ هذه الأمثلة و غيرها ممّا تقدّم به المفعول به وجوباً ؛ لأنّه ضمير متّصل بالفعل ، و لابدّ أنْ تحمل معها دلالة تختلف عن دلالة المفعول به المتأخّر عن الفاعل ، و يبدو أنَّ المفعول به في هذه الأمثلة يُشَكِّلُ محوراً يدور حوله المعنى ، مع ما يَحْمِلُهُ تأخير الفاعل من تشويق يَجْذُبُ المخاطب إلى معرفته ، وهي مع ذلك ولجبة التّقديم انسجاما مع القاعدة النّحويّة.

غير أنّني لا أسلم بأنَّ التّقديم الذّي يأتي انسجاما مع القاعدة لا يأتي بدلالة جديدة ، و لهذا عبَّرَ سيبويه وغيره من العلماء عن التّقديم و التّأخير بأنّه لا يأتي وهم يحاولوا به معنى من المعاني.

---

[1]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج1، دار الجيل،بيروت، ط1 ،1983 م ، ص506.

[2]- المصدر نفسه، ص542.

[3]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج2، دار الجيل،بيروت، ط2 ،1983 م.ص273.

و أمّا تقديم المفعول به على الفاعل جوازاً ، فيجوز الاستعمال اللّغوي تقديم المفعول به على الفاعل على نيّة التّأخير ، عندما تَقْضِيْ الظّروف الملَابِسَةُ للنّص ذلك كأنْ يقال : " ضَرَبَ زَيْداً مُحَمَّدُ " ، إذْ إنَّ المفعول به (زيدا)في الجملة الأولى ، بين الفعل و الفاعل ، و باعد الفاعل عن الفعل و تحدَّثَ ابن جني عن تقديم المفعول به ، و بيَّنَ مراحل التّقديم التّي تتفاوت قوّة و ضعفاً ، وكيف تكون العناية في كلّ مرحلة أشدّ من المرحلة التّي قبلها ، و اختلاف الأساليب لإبراز تلك العناية ، فقد ركَّزَ على تقديم المفعول به و أهميته البلاغيّة و تظهر هذه الأهمية عند ابن جني من النّاحيتين :*الأولى : تقديم المفعول به ، و*الثّانية : حذف الفاعل و إسناد الفعل إلى المفعول به.

و يرى أنَّ " أصل وضْعْ المفعول به أنْ يكون فضلة ، و بعد الفاعل ، ك (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْراً)، فإذا عَنَاهُمْ ذِكْرُ المفعول به قدّموه على الفاعل فقالوا : ضَرَبَ عَمْراً زَيْدُ ، فإذا زادت عنايتهم به قدّموه على الفعل النّاصب ، فقالوا : عَمْراً ضَرَبَ زَيْدٌ فإذا تَظَاهَرَتْ العناية به عقّدوه على أنّه ربّ الجملة و تجاوزوا به حدّ كونه فضلة فقالوا : عَمْرُو ضَرَبَهُ زَيْدُ ، فجاءوا به مَجِيئاً ينافي كونه فضلة ، ثمّ زادوا على هذه الرّتبة ، فقالوا عَمْرُو ضَرَبَ زَيْدٌ فحذفوا ضميره و لم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة ، ثمّ إنّهم لم يَرْضُوا له بهذه المنزلة حتّى صاغوا الفعل له ، و بَنُوه على أنَّهُ مخصوص به ، و أَلْغَوْا ذكر الفاعل مظهراً أو مضمراً فقالوا : ضُرِبَ عَمْرُو، فأطرح ذكر الفاعل البتّة بل أسندوا بعض الأفعال إلى المفعول به دون الفاعل البتّة مثل قولهم : إِمْتُقِعَ لَوْنُهُ ، و لَمْ يقولوا : إِمْتَقَعَهُ كذا"[1].

[1]- ابن جني المحتسب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 'ج1' (1954م)، ص65-66.

و يمكن تلخيص ذلك بأنَّ التّقديم يكون على أربعة حالات، كل حالة لها معنى خاص يختلف عن الآخر و هي :

-الأولى : أنْ يتقدّم المفعول به على الفاعل فقط ، مثل : أَكْرَمَ خَالِداً مُحَمَّدٌ.

-الثّانية : أنْ يتقدّم المفعول به على الفعل منصوباً ، مثل : خَالِداً أَكْرَمَ مُحَمَّدٌ.

-الثّالثة : أَنْ يتقدّم المفعول به على الفعل مرفوعاً و يصبح عمدة بعد أنْ كان فضلة ، مثل : خَالِدُ أَكْرَمَهُ مُحَمَّدُ.

-الرّابعة : أنْ يتقدّم المفعول به على الفعل مرفوعاً ، مثل : الحالة الثّالثة ، غير أنَّ الجملة عندئذ تخلو من الضّمير ، مثل : خَالِدُ أكْرَمَ محمّد و هي أقواها و أرفعها منزلة ؛ لأنَّ الجملة بعد تقديم المفعول به و جعله مرفوعاً تصبح مختصّة به عندما تخلو من الضّمير ، و إذا اشتداهتمامهم بالمفعول به ، حذفوا الفاعل ، و سَلَّطوا الفعل على المفعول به مباشرة ، كأنّه هو الفاعل كما في حال بناء الفعل للمجهول[1].

و ذهب ابن عقيل إلى جواز تقديم المفعول به على الفاعل إِذْ وُجِدَتْ قرينة تبيّن الفاعل من المفعول، و قد تَكُونُ القرينة الدّالّة على الفاعل معنويّة ، و قد تَكُونُ لفظيّة ، القرينة المعنوية ، نحو : أَكَلَ مُوسَى الكَمْثَرَ ، فلا يجوز موسى مَأْكُولاً و الكمثر هي الآكل ، و القرينة اللفظية ثلاث أنواع[2]:

*الأولى : أنْ يكون الإعراب ظاهراً على اسمين ، نحو : ضَرَبَ زَيْداً مُحَمَّدُ ، فوجود قرينة لفظية و هي ظهور الإعراب في الاسمين(زَيْداً ، مُحَمَّدٌ) قد بيّن الفاعل من المفعول ،و إذا لم يظهر الإعراب فيها أو في أحدهما ، نحو : ضَرَبَ موسى عيسى ، لم يجز التّقديم و التأخير لما يؤدّي إليه ذلك من التباس المفعول بالفاعل ، أو أَنْ يَكُون

[1]-ابن جني المحتسب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 'ج1' (1954م)،ص135، ج2، ص284.

[2]-ينظر : إبن عقيل، شرح إبن عقيل، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، الصيدا، 1995م، ص248.

لأحدهما تابع ظاهر الإعراب ، نحو : ضَرَبَ موسى الظِّرِيفْ عيسى، فإنَّ (الظّريف) تابع لموسى فلو رفع كان (موسى) مرفوعاً ، و لو نصب كان (موسى) منصوباً كذلك. يقول تمام حسّان : " إنَّ الرّتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا كان أمن اللّبس يتوقّف عليها، و ذلك نحو : ضَرَبَ موسى عيسى ، و نحو : أخي صديقي إذْ يتعيّن في موسى أنْ يكون فاعلاً و في أخي أنْ يكون مبتدأ مُحَافَظَةٌ على الرّتبة ؛ لأنّها تنزيل اللّبس . و هي هنا تُعْتَبَرُ القرينة الرّئيسيّة الدّالّة على الباب النّحوي [1]"

*الثّانيّ : أنْ يتصل بالسّابق منهما ضمير يعود على المتأخّر، نحو : ضَرَبَ فَتَاهُ موسى ، فهنا (فَتَاهُ) مفعولاً ، إذْ لو جعلته فاعلاً ، و (موسى) مفعولاً لَعَادَ الضّمير على المتأخّر لفظاً و رتبة و هذا غير جائز ، بخلاف ما لو جعلته مفعولاً ، فإنَّ الضّمير حينئذ عائد على المتأخّر لفظاً ، متقدّم رتبة و هو جائز[2] ، و منه قول الشّاعر[3] :

جَاءَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً كَمَا أَتَى رَبَّهُ موسى على قَدَرِ

فتقدّم المفعول به (رَبَّهُ)على الفاعل (موسى) ، و قد أعاد الضّمير المتّصل بالمفعول المتقدّم على الفاعل المتأخّر لفظاً[4] ؛ و هذا شائع في كلام العرب ؛ لأنَّ الضّمير عائد على متأخّر لفظاً ، و لكنّه متقدّم رتبة ؛ أيٌّ شاع في الأساليب العربيّة عود الضّمير من المفعول المتقدّمعلى فاعله المتأخّر ، نحو : خَافَ رَبَّهُ عُمَرُ ، و شذّ عود الضّمير من الفاعل المتقدّم على مفعوله المتأخّر ، نحو : زَانَ نُورُهُ الشَّجَرَ؛ لأنّه يكون عائداً على متأخّر لفظاً و رتبة ، و هذا ممتنع[5].

[1]- حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة. (1979م).ص208.
[2]-ينظر : إبن عقيل، شرح إبن عقيل، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، الصيدا، 1995م، ص100.
[3]-ينظر :الحلبي السمين. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ط1، دار القلم،دمشق. (1986م). ص167.
[4]-ينظر :بن هشام شرح قطر الندى وبل الصدى، ط1 مطبعة السعادة، مصر. (1963م). ص184-185.
[5]-ينظر :بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج2، دار الفكر. (1994م).ص109.

*الثّالث: أنْ يكون أحدهما مؤنّثاً و قد اتّصلت بالفعل علامة التّأنيث ، نحو : ضَرَبَتْ موسى سلمى، فإنَّ اقتران التّاء بالفعل دالّ على أنَّ الفاعل مؤنّث ، فتأخّره حينئذ عن المفعول به جائز[1] .

إنَّ ماتقدّم من القرائن التّي تسهم في تحديد المعنى يعطي اللغة فسحة في تجاوز الرّتب النّحويّة المحفوظة، و يقدّم المتكلّم وسائل لأداء المعنى بالطّريقة التّي تناسب كلّ مقام ، و لانستطيع أنْ ننظر إلى الأساليب العربية على أنّها قوالب صمّاء يجب الالتزام بها ، فالتّقديم و التّأخير لابدَّ أنْ يَحْمِلُ معه من الدّلالات ماهو مقياس لفصاحة و البلاغة ، و لعَلَّ إجادة استخدام هذه السّعة تكون معياراً للمفاضلة بين التّراكيب اللّغويّة في جودتها و مدى دقّتها في إبراز المعاني المقصودة

و لا نستطيع الافتراض أنَّ التّقديم الجائز مجرّد سعة في أساليب الكلام وطرق أدائه ، دون أنْ يحمل ذلك معه دلالات مرتبطة بالمعاني التّي يعبّر عنها المتكلّم ، و لو كان الأمر كذلك لا نعدم مقياس الفصاحة و البلاغة التّي يَكُونُ معيارها تقديم ما حقّه التّقديم و تأخير ما حقّه التّأخير ، و لكن ذلك في القرآن الكريم مجرّد حسن النّظم و مراعاة الفواصل ، دون اعتبار للمعنى ، و هذا بعيد كلّ البعد، إذْ لابدّ للتّقديم و التّأخير من دلالات عي الموجبة له و الداعية إليه ،و هي من أسباب إعجازه التّي بحث عنها عبد القاهر في دلائله.

و من المواضع التّي يجوز فيها تقديم المفعول به على فاعله " إذا كان المفعول به محصوراً بإلَّا المسبوقة بالنّفي ، بشرط أنْ تتقدّم معه (إلّا) ؛ نحو: ما أَفَادَ إلَّا المرِيضَ الدَّوَاءُ ، لما كان المحصور بإلَّا هو الواقع بعدها مباشرة كان تقدّمه معها إلّا لبس فيه ؛ لأنَّ وجودها ما قبله مباشرة يدلّ على أنّه المحصور بغير غموض ، أمَّا

[1]-ينظر : إبن عقيل، شرح إبن عقيل، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، الصيدا، 1995م، ص100.

المحصور ب (إنَّماَ) فإنّه المتأخّر عنها ، الذّي لا يليها مباشرة ، فإذا تقدّم ضاع في بعض الحالات الغرض البلاغي من الحصر ، و لا قرينة في الجملة تدلّ على التّقديم و موضعه . فيقع اللّبس الذّي يفسد الغرض "[1].

و ذهب تمّامّ حسّان في [كتابه الأصول]إلى أنَّ العدول عن الأصل (التّقديم و التّأخير) يكون إمّا للفائدة و أمن اللّبس ، و إمّا للخضوع لقواعد معيّنة يتمّ هذا العدول في ضوئها[2].

و لم يوافق إبراهيم أنيس النّحاة في جواز تقدّم المفعول به على الفاعل حيث يؤمن اللّبس ، يقول : " فلما قاله النّحاة من جواز تقدّم المفعول على فاعله حين يؤمن اللّبس لا مسوّغ له من أساليب صحيحة ولا يعدو أنْ يكون رخصة منَّ بها علينا النّحاة دون حاجة ملحّة إليها ، غير أنَّ قد نقبلها في الشّعر و ذلك لأنَّ للشّعر أسلوبه الخاص "[3].

و ذَكَرَ إبراهيم أنيس أنَّ تقديم المفعول به على الفاعل جوازاً قد يرجع إلى الفاصلة و الحرص على الموسيقى[4].

ولَعَلَّ ما جاء من الأمثال العربية التّي قُدِّمَ فيها المفعول به على الفاعل جوازاً ما يردّ هذا القول ، و من ذلك قولهم : " لَا يَضُرُّ السَّحَابَ نُبَاحُ الكِلَابِ "[5] ، و يضرب هذا المثل لمن ينال من إنسان بما لا يضرّه . فقدّم المفعول به (السّحاب) جوازاً دلالة على أهمية المعنى ؛أيّ إبراز عدم التّأثير ، و لهذا قدّم السّحاب لأنّه لم يتأثّر و أُخِّرَ الفاعل (النّباح) ؛ لأنّه لا يؤثّر ، فالسّحاب هو الأعلى و النّباح سيكون أسفل ، و

[1]- حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م).ص87.
[2]-ينظر :حسان تمام، الأصول،المغرب، الدار البيضاء. (1981م). ص130.
[3]- إبراهيم أنس ' من أسرار اللغة ' ص 225-226.
[4]-ينظر :أحمد مطلوب، بحوث لغوية، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان، 1989م، ص46.
[5]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص255.

بالتّالي فإنَّ تقديم السّحاب لتعميم عدم التّأثّر و التّأثير و أُخِّرَ الفاعل دلالة على قلّة أهميته.

و منه قولهم : " تُقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المطَامِعُ "[1] ، و يضرب هذا المثل في ذم الطّمع و الجشع ، تقدّم المفعول به (أعناق) على الفاعل (المطامع) جوازاً ، و خالف الأصل التوليدي المثل ؛ لوجود قرينة لفظية و هي ظهور الإعراب في الاسمين(أعناق ، المطامع)التّي بيّنت الفاعل من المفعول به ، و إذا لم يظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما لم يجز التّقديم و التّأخير لما يؤدّي إليه ذلك من التباس و لَعَلَّ الحرص على إبراز نتاج المطامع وأثرها سبب في تقديم المفعول به ، و هو محور المعنى لإبراز أثر الطّمع، و لهذا أُخِّرَ الفاعل و قُدِّمَ المفعول به الذّي أصبح بئرة في المعنى و محور للدّلالة .

و منه قولهم : " لَا يَمْلَأُ قَلْبَهُ شيء "[2] ، يضرب هذا المثل للرّجل الشّجاع. فتقدّم المفعول به (قلبه)جوازاً على الفاعل (شيء) لأهميته، و غيره كثير من الأمثال[3].

إنَّ تصنيف النّحاة لهذا النّحو من التّقديم ضمن الجواز قد لا يتّفق مع طبيعة المثل العربي، فهذه الأمثال و إنْ كانت تدور في فلك الجواز النّحوي من حيث القواعد المستقاة من لغة العرب إلّا أنَّ لها طابعاً تركيبياً ارتبط بالمعنى المراد منها ، فجاءت على النّحو الذّي وصل إلينا ، فهي ذات رتبة محفوظة، و هي إلى الوجوب أقرب منه إلى الجواز في الاحتفاظ بترتيب عناصر كلّ منها و لعلَّ هذا ما دفع بعض النّحاة إلى عَدِّ المثل واحداً من أسباب التّقديم و التّأخير و مسوّغاً للخروج على القواعد المألوفة

[1]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م ، ص223.
[2]- المصدر السابق، ، ص305.
[3]-المصدر السابق، ص152-296.

للعربية في الرّتب النّحوية . و هي مع ذلك فيها من الدلالة ما ينسجم مع الانزياح التّركيبي، و هذا نجد للأمثال لغتها الخاصّة بها ، و جرسها الموسيقي الذّي تتميّز به .

ب-تقديم المفعول به على الفعل :

يتقدّم المفعول به على الفعل و الفاعل وجوباً لمسوّغات منها :

1/أنْ يكون المفعول به ممّا له الصّدارة في الكلام ، كأنْ يكون اسماستفهام نحو : مَنْ قَابَلْتَ؟ ، أو اسم شرط نحو : أَيَّ نبيل تكرّم أكرم ، أو أن يكون مضافاً لاسم له الصّدارة نحو : صَدِيقَ مَنْقَابَلْتَ[1] ، و منه : قوله تعالى : [[فَأَيِّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ]][2]،و قوله تعالى : [[أَيًّا مَا تَدْعُوا]][3] ، حيث تقدّم المفعول به (أيّ ، أيّا) في الآيتين وجوباً ؛ لأنّهما من الأسماء التّي لها حقّ الصّدارة في الكلام .

2/أنْ يكون المفعول به ضميراً منفصلاً ، نحو : إيَّاكُمْ نخاطب ، و لو تأخّر المفعول به **(إيَّا)** لاتصل بالفعل ، و صار الكلام : نخاطبهم ، فيتلاشى الغرض البلاغي من التّقديم و هو الحصر ، و منه قوله تعالى : [[إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]][4]فلو أُحّر المفعول به (إيّاك) لزم الاتصال ، و كأنْ يقال (نَعْبُدُكَ) فيجب التّقديم .

و منه قولهم : " إيّاكَ أَعْنِيْ و إِسْمَعِيْ يا جَارَهْ "[5]، و يضرب هذا المثل لمن يتكلّم بكلام و يريد يه شخصاً آخر ، حيث تقدّم المفعول به (إيّاك) وجوباً ؛ لأنّه ضمير منفصل ، وهو في صورته هذه يحصر المفعول به حصراً لا شَكَّ معه ، و لا يشركه فيه أحد ، و لذلك قدّمه على الفعل و الفاعل ، فالتّقديم هنا له من

[1]- ينظر :حسن عباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م).ص89.
[2]-ينظر : سورة غافر، الآية 81.
[3]-ينظر : سورة الإسراء، الآية 110.
[4]-ينظر :سورة الفاتحة الآية 05.
[5]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج2، دار الجيل،بيروت، ط2 ،1983 م.ص30.

الدّلالة البلاغية ما هو متناسب مع الانزياح في ترتيب عناصر التّركيب، و لو أخّر المفعول به لتلاشي الحصر أو تغيّر المعنى .

3/ أنْ يكون عامل المفعول به مقروناً بفاء الجزاء في جواب (أَمَّا)الشّرطية الظّاهرة او المقدّرة، و لا إسم يفصل بين هذا العامل و أمَّا ، و منه قوله تعالى : [[فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ و أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ]][1].

و قوله تعالى : [[وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ]][2] ، حيث تقدّم المفعول به (اليتيم ، السّائل) ، وجوباً في الآية الأولى ؛ ليكون فاصلاً بين أمَّا و الفعل : لأنَّ الفعل و خاصّة المقرون بفاء الجزاء لا يلي (أمَّا) ، و القول نفسه مع الآية الثّانيّة .

و يتقدّم المفعول به على الفعل ، و الفاعل جوازاً ؛ ليتصدّر الجملة دون أنْ يترك ضميراً في مكانه يقوم مقامه إعراباً ، و ذلك لا يحصل إلّا إذا كان العامل متصرّفاً يقوى على العمل فيما سبقه ، " فقد يتقدّم المفعول به على الفعل العامل فيه لقوّة الفعل، مثل : (الله أعبد) ، و (وجه الحبيب أَتَمَنَّى)]][3]. و قد يتقدّم المفعول لا على نيّة التّأخير ، و لكن على أنْ يترك ضميراً يشغل مكانه ، و يقوم مقامه ، نحو : (زيد ضربته)، فكلمة (زيد) مبتدأ ، قد خرجت عن كونها مفعولاً به ؛ لأنّها تركت ضميراً يخلفها ، و يقوم مقامها ، و يخرج المفعول به أيضاً نتيجة التّقديم عن كونه فضلة على مستوى المعنى إلى كونه عمدة ، إذْ إنَّ التّركيز يكون على العنصر المتقدّم ، فتدور عناصر الجملة حول العنصر المتقدّم من حيث المعنى ، و تبنى للدّلالة عليه ؛ لأنّه يصبح محور التّركيب و بؤرته نحويّاً و دلاليّاً .

---

[1]-ينظر : سورة الضحى، الآية 9-10.

[2]-سورة المدثر، الآية 03.

[3]-ينظر :الجامي، نور الدين. الفوائد الضيائية، ج1، مطبعة وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية. (1983م).ص321.

و تناول البلاغيون تقديم المفعول به على الفعل و الفاعل ، فيتقدّم المفعول به عندهم على الفعل و ينصب على نيّة التّأخير نحو : (زَيْداً ضَرَبْتُ) ، و يتقدّم و يرفع لا على نيّة التّأخير نحو : (زيد ضربته)، فمتى ترك المفعول به ضميراً يحلّ محلّه يتقدّم لا على نيّة التّأخير ، لأنَّ هذا الفعل لا ينصب مفعولين ، و إذا ورد الاسم الأوّل منصوباً ، و قد ترك في موضعه ضميراًنحو : (زيداً ضربته) فلا يكون الاسم المتقدّم مفعولاً للفعل المذكور ، بل مفعولاً به بفعل محذوف . وقد تنبّه البلاغيّون إلى هذه المسألة ، فذهبوا إلى ماذهب إليه النحويون ، حيث أخذوا يقدّرون في الجملة فعلاً محذوفاً يأتي إمّا قبل الاسمنحو: (ضَرَبْتُ زَيْداً ضَرَبْتُهُ) فيكون المفعول به المتقدّم لفعل قد سبقه محذوف لا للفعل الذّي يليه ، و هذا التّقدير يحمل على باب التّأكيد. و إمّا أنْ يقدّر فعلاً بعد الاسمنحو : (زيداً ضربت ضربته) ، فيكون المفعول به مفعولاً مقدّماً لا للفعل الموجود في الأصل ، و لكن للفعل المحذوف الذّي قدّر بعده و هذا التّقدير يحمل على باب التّخصيص[1] .

و لذلك أغراض بلاغيّة أشار إليها العلماء منها :

1-ردّ الخطأ في التعيين كقولك:مُحَمَّداً كَلَّمْتُ ، ردّاً على من اعتقد أنّك كَلَّمْتَ إنساناً غير محمّد ، و تقول لتأكيده مُحَمَّداً كَلَّمْتُ لا غيره .

2-للتّخصيص ، كقوله تعالى : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "[2] ، أيّ نخصّك بالعبادة و الاستعانة لا نعبد غيرك و لا نستعين به[3] ، و يرى ابن الأثير في [المثل السّائر] أنَّ الآية السّابقة قُدِّمَ فيها المفعول به (إيّاك)مراعاة لنظم الكلام ،

[1]-ينظر :السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العامية،بيروت. (1983م).ص85.
[2]- سورة الفاتحة الآية 05.
[3]-ينظر : أحمد مصطفى المراغي والبيان والمعاني والبديع ص99.

يقول : " و أمَّا الوجه الثّاني الذّي يختصّ بنظم الكلام فنحو قوله تعالى : [[إيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إيَّاكَ نَسْتَعِينُ]] ، لأنّه لو قال : نعبدك و نستعينك لم يكن له من الحسما لقوله : [[إيَّاكَ نَعْبُدُ و إيَّاكَ نَسْتَعِينُ]] ألا ترى أنّه تقدّم قوله تعالى : [[الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ *الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ]] ، فجاء بعد ذلك قوله : (إيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إيَّاكَ نَسْتَعِينُ) و ذلك لمراعاة حسن النّظم السّجعي الذّي هو على حرف النّون ، و لو قال نعبدك و نستعينك لذهبت تلك الطّلاوة ، و زال ذلك الحسن"[1].

و في المثل : " إيَّاكَ أَعْنِيْ و إسمعييياجارهْ "، تقدّم المفعول به للاختصاص ، أيّ خصَّ المخاطبة دون غيرها ، كما ذهب إلى ذلك الزّمخشري[2]. و لو يوافقهابن الأثير في ذلك ، إذْ أعاد التّقديم لمراعاة نظم الكلام و مراعاة الموسيقى ، فلو تأخّر المفعول به (أعني إيَّاكِ و إسمعي يا جاره) لذهب حسن المثل و موسيقاه .

3-الاهتمام بالمقدّم ، نحو : حسن الخلق لَزَمْتُ .

4-التّبرّك به ، تحو : محمّداً عليه الصلاة و السّلام إتّبعت .

5-الإستلذاذ به ، نحو : ليلى كَلَّمْتُ .

6-موافقة كلام السّامع ، نحو : مُحَمّداً أَكْرَمْتُ .

7-رعاية السّجع و الفاصلة ، و رعاية المعنى كقوله تعالى : " فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ "[3]

8-للتّأكيد ، نحو : زَيْداً عَرَفْتُهُ[4] .

---

[1]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، المكتبة العصرية،بيروت،صيدا. (1995م)ص36.

[2]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة،بيروت. (د.ت) ص61.

[3]- سورة الضحى، الآية 9-10.

[4]-ينظر :القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج1، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، 1989م ص 71-72.

ومنه قولهم : " لَا مَاءَكِ أَبْقَيْتِ ، وَ لَا حِرَكِ أَنْقَيْتِ "[1]، وهو مَثَلٌ قاله رجل لامرأته عندما كان في سفر و كانت عَارِكاً فَطَهُرَتْ و كانا معهما ماء يسير فاغتسلت ، فلم يكفها الماء لغسلها و أنفدته ، فبقيا عطشانين[2] ، حيث تقدّم المفعول به (ماءك) للأهمّيّة ، و لأنّه أراد إبراز ما تَمَّ إتلافه أو ماخسره ، و لذلك قدّم المفعول به ليشكّل المحور الذّي يدور حوله المعنى، و لهذا كان التّقديم في المثل منسجماً مع المعنى في النّفس.

2-1-تقديم الحال:

الأصل في المال أن تأتي بعد عاملها و صاحبها ،لبيانهيئته. وقد يطرأ على التركيب الافتراضي ما يقضي بتغير موقعي في رتبة الحال فتتقدم على عاملها، أو على صاحبها أو عليهما معا، ومع ذلك هنالك ما يقتضي تقديمها وجوبا مع مراعاة رتبتها الافتراضية في التركيب الذهني للجملة العربية إن تقديمها وجوبا يعني استحالة تأخيرها، و مع ذلك لابد من مراعاة التصور الذهني لموقعها بين عناصر التركيب.

أ-تقديم الحال على صاحبها:

تقدم الحال على صاحبها بأن تقع بين العامل و صاحب الحال.ويأتي صاحب الحال مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا بحرف جر زائد أو أصلي،أومجرورا بالإضافة،أو مفردا.

[1]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص257.
[2]-ينظر : المصدر السابق، ص257.

وإذا جاء صاحب الحال مرفوعا،فالكوفيون منعوا تقديم الحال عليه إن كان ظاهرا،نحو:"جَاءَ زَيدٌ رَاكبًا"،فهم لا يجيزون جَاءَ رَاكبًا زَيدُ،لأنهم يشترطون في صاحب الحال عند تقديمها أن يكون مضمرًا لا ظاهرا كقوله تعالى:"خُشَّعًا أَبصَارُهُم يَخرُجُونَ"[1]وكقول الشاعر سويد بن أبي كاهل:

مُزبدًا يَخطُرُ مَالَم يَرني وَإذَا يَخلُولُهُ لَحمي رَتَع[2]

ومنعوا تقديم صاحب الحال المنصوب عليه،نحو:"لَقَيتُ رَاكبَةً هندًا"،لأنه يوهم أنَّ (راكبةً) مفعول به،و(هندًا) بدل فلو كان موضع (راكبة)(تركب)لم يمتنع عند بعضهم لزوال الموهم:أيّ يقع اللَّبس في أنَّ(هندًا)بدلاً من (راكبة)[3].

ولم يلتفت البصريون إلى ذلك الموهم لبعده،فأجازوا التقديم مطلقًا ،ويؤيَّد رأيهم قول الشاعر[4]:

وَصَلَّتُ و لَم أَصرمُ مُسبيّنً أُسرَتي وأَعتَبتُهُم حَتَّى يُلاَقُوا وَلاَئيَا

والصفة النكرة إذا قدّمت على موصوفها،نُصبَت على الحال،كقول الشاعر[5]:

لَميَّةً مُوحشاَ طَلَلُ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خلَل

وقد اتَّفَقَ النحاة على جواز تقدّم الحال على صاحبها المجرور بحرف جرّ زائد،يقول الأزهري في ذلك:"يجوز تقديم الحال على صاحبها المجرور به اتَّفاقًا،كما يجوز التقديم على الفاعل والمفعول،نحو:(ما جاءني راكباً من أحد"[6].

يجوز تقديم الحال على مجرورها بحرف زائد عند النحويين ، و جائز أيضاً تقديم الفاعل على مفعوله .

---

[1]-سورة القمر ، الآية 07.

[2]-ينظر :الشافعي، شرح الكافية الشافية، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت. (2000م). ص336.

[3]-ينظر :ابن الحاجب، الكافية في النحو، ج1، دار الكتب العلمية،لبنان. (د.ت). ص206.

[4]-ينظر :الشافعي، شرح الكافية الشافية، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت. (2000م). ص336.

[5]-ينظر :ابن يعيش، شرحالمفصل، ج1، عالم الكتب،بيروت. (د.ت). ص50.

[6]- الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج1، دار إحياء الكتب العلمية. (د.ت). ص354.

وقد أيَّدُ ذلك ابن جني،وابن مالك الذي قال:ولا أمنعه فقد ورد.

واختلفوا في تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصيل؛فهو ممنوع عند البصريين،وعلّلوا منع ذلك بأن تعلق العامل بالحالتالِلتعلُّقهبصاحبه،فحقه إذا تعدَّى لصاحبه بواسطة أثر يتعدَّى إليه بتلك الواسطة،لكن منع من ذلك أن الفعل لا يتعدَّى بحرف الجر إلى شيئين فجعلوا عوضاً من الاشتراك في الواسطة التزام التأخير[1].

فلا يجوز عندهم أن يقال:(مررت ضاحكة بهند)؛لأنَّ الفعل إذا تعلَّق بصاحب الحال بحرف،يجب أن يتوصل إلى الحال بذلك الحرف،فيقال:(مررت بضاحكة هند)،وينتج عن هذا التعدي التباس الحال بالبدل ،لذلك وجب تأخير الحال هنا فيقال:(مررت بهند ضاحكة)[2].

واستدل الكوفيون على جواز تقدَّم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصيل بشواهد من القرآن الكريم،إذ استشهدوا بقوله تعالى:"وَمَا أَرسَلنَاكَ إلَى كَافَّةً النَّاس"[3]،إذا تقدَّمت الحال (كافة) على صاحبها المجرور بحرف جر غير زائد (للنَّاس)؛ بيْدَ أنَّ المانعين يرون أنَّ الحال من الكاف في (أرسلناك)حتى لا يكون في ذلك تقديم ،ومن ذلك قول الشاعر[4]:

تَسَلَّيتُ طَرًّا عَنكُم بَعدَ بَينَكُم بذَاكْرَاكُمْ حَتَّى كَأَنَّكُم عندي

وأجاز الشافعي تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر غير زائد ؛ "لأن المجرور بحرف مفعول به في المعنى ؛فلا يمتنع تقديم حاله عليه كما لا يمتنع تقديم

[1]-ينظر :الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج1، دار إحياء الكتب العلمية. (د.ت). ص379.
[2]-ينظر :السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج4، المكتبةالتوفيقية،القاهرة. (د.ت). ص25.
[3]- سورة سبأ، الآية 28.
[4]-ينظر :بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، دار الفكر. (1994م). ص89.وأنظر حسنعباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م). ص379.

حال المفعول به"، وقد جاء ذلك مسموعاً في أشعار العرب الموثوق بعربيَّتهم ؛ ومن ذلك ما انشد ابن السكيت[1]:

فإنَّ تَكُ أَذوَادٌ أُصبتَ ونسوَةٌ فَلَن يَذهَبُوا فَرغاً بقَتل جبَال[2]

واتَّفق النحاة على منع تقدُّم الحال على صاحبها المجرور بالإضافة ؛ "لأنَّ نسبة المضاف إليه من المضاف كنسبة الصلة من الموصول وما تعلَّق بالصلة فهو بعضها؛فكذلك ما تعلَّق بالمضاف إليه فهو بمنزلة بعض الصلة؛فلذلك لم يختلف في امتناع تقدُّم حال المضاف إليه على المضاف كقولك:(أعجبني ذهاب زيد راكباً)"[3].

يجوز تقديم الحال على صاحبها المجرور بالإضافة.

فتقديم الحال على صاحبها قد يكون جوازا أو وجوباً. وأماَّ الجواز نحو:(ركبَ مُحَمَّدُ مبتسماً) أو (ركب مبتسماً مُحَمَّدُ).

والحالات التي تتقدَّم فيها الحال وجوباً على صاحبها:

1- أن يكون صاحبها محصوراً؛ نحو:(ما فَازَ خَطيبً إلاَّ البَليغُ)[4] و تقديره ما يوهم تأخير الحال وصاحبها محصوراً، فيقدَّر بعده عامل في الحال.فمن ذلك قول الراجز[5]:

(مَا رَاعَني إلاَّ جَنَاحُ هَابطًا على البُيُوتِ قَوْطُهُ العُلَا بِطاَ).

فالتقدير:ما راعني إلا جناح راعني هابط.

2- أن يكون صاحبها مضافاً إلى ضمير،يعود على شيء له صلة و علاقة بالحال ،نحو:(جاء زائراً هنداً أخوها)، ونحو:(جاء منقاداً للوالد وَلَدَهُ)[1].

[1]-ينظر : يعقوب ابن إسحاق، أبو يوسف ابن السكيت، إمام في اللغة والأدب وكان عالما بنحو الكوفيين، وعلم القرآن واللغة والشعر، رواية ثقة. أنظر: إبن عقيل، شرح إبن عقيل، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، الصيدا، 1995م، ص336.

[2]-ينظر :الشافعي، شرح الكافية الشافية، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت. (2000م). ص334-335..

[3]- الشافعي، شرح الكافية الشافية، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت. (2000م).ص334.

[4]-ينظر :حسنعباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م). ص327.

[5]-ينظر :الشافعي، شرح الكافية الشافية، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت. (2000م). ص333-334.

ب-تقديم الحال على عاملها:

ذهب البصريون إلى أنَّه يجوز تقديم الحال على العامل فيها، إذا كان العامل فعلاً نحو:(راكباً جاء زَيدُ) للنقل و القياس؛ أما النقل فقولهم في المثل"شتَّى تؤوب الحلبة"،و(شتىً) حال مقدَّمة على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر ,فدَلَّ على جوازه، وأما القياس فلأن العامل فيها متصرَّف ،وإذا كان العامل متصرفا؛وجب أن يكون عمله متصرَّفاً يجوز تقديم معمولة عليه،كقولهم:(عمراً ضَرَبَ زَيد) فالذي يدلُّ عليه أنَّ الحال تسبه بالمفعول ،وكما يجوز تقديم المفعول على الفعل ،فكذلك يجوز تقيَّم الحال عليه[2].

وذهب المبرَّد إلى جواز تقديم الحال على العامل المتصرَّف؛لأنه جاز فيها كلُّ ما يجوز في المفعولبه من التقديم والتأخير؛ إلا أنها لا تكون إلاَّ نكرة وإنما جاز ذلك فيها؛لأنها مفعولة، فكانت كغيرها مما ينتصب الفعل. تقول: جاء راكباً زَيدُ, كما تقول: ضرب زيداً عمرو،وراكباً جاء زيدُ؛ كما تقول: عمراً ضرب زيدُ وقائماًزيداً رأيت؛ كما تقول: الدرهم زيداً أَعطَيتُ، ضربتُ قائماً زيداً. ومن كلام العرب:رأيت زيدًا مَصعدًا مُنحَدراً, ورأيت زيدًا راكباً ماشياً؛ إذا كان أحدكم راكباً والآخر ماشياً، وأحدكما مُصعداً والأخر منحدراً. وقول الله عزَّوجلَ عندناعلى تقديم الحال. والله أعلم. وذلك:(خُشَّعاً أَبصَارُهُم يَخرجُونَ منَ الأَحدَاث)[3] . وكذلك قول الشاعر:

مُزْبِداً يَخْطِرُ مَالَم يَرَني وإذا يَخلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ[4]

---

[1]-ينظر :حسنعباس، النحوالوافي، ط1، آوند دانش للطباعة والنشر والتوزيع. (2004م). ص327.

[2]-ينظر :الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط4، مطبعة السعادة،القاهرة. (1961م). ص152.

[3]-ينظر : سورة القمر، الآية 07.

[4]-ينظر :المبرد،المقتضب، ج4، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،مصر،القاهرةٍ، ط2، (1979م)، ص169-170-168.

و يؤيِّده ابن جني في ذلك ،وإلى مثل هذا ذهب ابن الأنباري ؛والقول نفسه مع ابن يعيش من حيث جوازا تقديم الحال على العامل المتصرف ، و على المشتقات التي تعمل على الفعل ،وكذلك ما أشبهه من الصفات يجوز تقديم الحال عليه إذا كان عاملاً فيها؛ فنقول:(زيد ضارب عمراً قائماً),و(قائماً زيد ضارب عمراً)،وكذلك اسم المفعول، والصفة المشتبهة باسم الفاعل،فحكم الجميع شيء واحد[1].

وذهب الكوفيون إلى منع تقديم الحال على العامل المتصرف، واحتجوا لذلك بأنَّ تقديم الحال على عاملها "يؤدي إلى تقديم المضمر على المظهر ألا ترى أنَّك إذا قلت:(راكباً جاء زيد) كان في (راكباً) ضميره،وقد تقدَّم عليه، وتقديم المضمر على المظهر لايجوز"[2]. وإلى ذلك ذهب القراء.

وإن اختلف النحويون في جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف، فإنهم اتَّفقوا على منع تقديم الحال على عاملها المعنوي (الجامد)؛ لأنه لا يتصرف تصرف الفعل، يقول الأنبا ري: "إن كان العامل فيه معنى فعل ،نحو:هذا زَيدٌ قائماً ،ولم يجز تقديم الحال عليه ،فلو قلت: قائماً هذا زيد ،لم يجز؛لأنَّ معنى الفعل لا يتصرَّف تصرفه،فلم يجز تقديم معموله عليه"[3].

وتناول البلاغيون الحال، عندما تقدَّم على صاحبها، وتناولوا صاحب الحال مفرداً، وابتعدوا عنه عندما يكون مجروراً بالإضافة، وقد ظهر هذا الأسلوب عند البلاغين، في صورتين مختلفتين. أمَّا الصورة الأولى فتأتي عندما يكون صاحب الحال اسماً مفرداً ،و الحال مؤخَّرة عن العامل في سيَّاق مثبت ،نحو:(جاء راكباً زيد)،و(جاء

[1]-ينظر :ابن يعيش، شرحالمفصل، ج2، عالم الكتب،بيروت. (د.ت). ص57.
[2]- الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط4، مطبعة السعادة، القاهرة. (1961م). ص251.وأنظر الأنباري، أسرار العربية، ج1، مطبعة الترقي،دمشق. (1957م).ص191.
[3]- الأنباري، أسرار العربية، ج1، مطبعة الترقي،دمشق. (1957م).ص177.

ضاحكاً زيد)[1]؛حيث تتقدَّم الحال (راكباً) في الجملة الأولى ،و(ضاحكاً) في الجملة الثانية على صاحبها (زيد) في الجملة الأولى والثانية ،وجاءت الحال المتقدَّمة في سياق مثبت يتكون من فعل وفاعل .وتقديم الحال كقولك :جاء راكباً زيد، بخلاف قولك:جاء زَيدُ راَكباً؛إذ يحتمل أن يكون ضاحكاً أو ماشياً أو غير ذلك ؛أيّ أنّ المعنى و القصد يتغيَّر بالتقديم.

و أمَّا الصورة الثانية فتظهر عندما تتقدَّم الحال على صاحبها المفرد في سياق تُذكَرُ فيه أداة نفي، وأداة استثناء، لتفيد القصر. و القصر لا يوجد لتقديم بذاته وإنَّما لمعنى, ودليل ذلك أن القصر قد يؤدي إلى تقديم الحال وجوباً،وقد يقتضي تأخيرها وجوباً.فلو كان أسلوب القصر هو الذي يحدَّد لكان هناك صورة واحدة، ولكن المعنى هو الأهم ولذلك يراعي تقديم الاسم أو تأخيره في المعنى،كقولك:ما جاء راكباً إلاَّ خَالدُ،فخالد هو صاحب الحال ،وقد وجب تأخيره عن الحال ،لأنها قصرت عليه ،فلو قُدّمَ عليها،قيل:ما جاء خالدٌ إلاَّ راكباً ، لتغيير المعنى. ومن الذين تنبَّهوا إلى هذه الصورة محمد بن علي الجرجاني و الطيبي.

يقول محمد بن علي الجرجاني :"وفي قصر ذي الحال على الحال:(ما جاء زيدٌ إلاَّ راكباً)و العكس بالعكس"[2].

ويوضح الطيبي حديث محمد بن علي الجرجاني السابق :"(ما جاء زيدإلاَّ راكباً),أيّ ما جاء زيد كائناً على حال من الأحوال إلاَّ راكباً وفي عكسه (ما جاء راكباً إلاَّ زيد)"[3].

ومن الأمثال العربية التي تقدَّمت فيها الحال على صاحبها و عاملها قولهم "شتَّى تَؤُوبُ الحَلَبَةُ"[1]و أصل المثل :أنهم يُوردُون إبلهم الحوض معاً،فإذا صدروا تفرَّقوا إلى منازلهم

[1]-ينظر :ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، المكتبة العصرية،بيروت،صيدا. (1995م)، ص40.
[2]- الجرجاني محمد، الإشارات والتنبيهات، دار نهضة مضر للطبع والنشر،القاهرة. (د. ت).ص97.
[3]- الطيبي، التبيان في البيان، ط1، ذات السلاسل للطباعة والنشر،الكويت. (1986م).ص95.

،فحلب كل واحد في أهله حيَاله.ويضرب هذا المثل في اختلاف الناس و تفرَّقهم في الأخلاق[2].

تقدمَّت الحال هنا ؛لأنها جُعلَت محوراً للمعنى المراد،فأسلوب العودة و التفرق هو المعنى المحوري الذي يُبْنَى عليه المثل للدلالة على الفرقة و الاختلاف ، ولإبرازه تقدَّمت الحال فأضفت على المعنى بعداً إضافيا يكشف عن طبيعة العودة وهيئتها لا العودة نفسها ولا الذي يعود ، فجاء التقديم للحال متوافقً مع قيمتها الدلالية في محورية المعنى في هذا المثل.

ومنه قولهم :"كُرْهاَ تَرْكَبُ الإبِلُ السَّفَرَ"[3]يضرب هذا المثل للرجل يركب من الأمر ما يكرهه و(كُرْهَا) مصدر قائم مقام الحال ،ونصب على الحال.

حيث تقدَّمت الحال على صاحبها و على عاملها جوازاً، و هذا التقديم من باب العناية والاهتمام بها، فليس كل ما يقوم به المرء يكون عن طيب خاطر، ولإبراز ذلك تقدّمت الحال فأصبحت معنى محورياً في التركيب اللغوي.فلو تأخَّرت لفقدت قيمتها الدلالية التي يقصد منها إبراز الإكراه على الأمر،ولهذا جاء الانحراف في ترتيب عناصر التركيب اللغوي متوافقاً مع القيمة المعنوية المقصودة التي تحقِّقها من خلال ذلك.

ومثله قولهم :"كَارِهاً يَطْحَنُ كَيْسَانُ"[4]. يضرب هذا المثل لمن كُلِّفَ أمراً و هو فيه مكره وكيسان باسم رجل، حيث تقدَّم الحال (كارها) على الفعل وعلى صاحبها (يطحن كيسان) من باب العناية به.

وفي قولهم :"كَيْفَ تَرَى اِبْنُ أُنْسِكَ؟"[1].يعني كيف تراني؟ يقول الرَّجل لصاحبه **ق**ال أبو الهيثم:يقولهالرَّجللنفسه إذا مَدَحَهَا. تقدَّمت الحال (كيف) وجوبا على صاحبها وعلى

[1]- الأصمعي.الأمثال، ط1، المكتبة الوطنية،بغداد. (2000م). ص152.
[2]-ينظر :الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص453.
[3]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص194.
[4]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ج2، ص195.

عاملها ؛لأنها من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام ،وبذلك تنسجم مع القاعدة النحوية في بنائها التركيبي.

المبحث الثالث: مظاهر التقديم والتأخير في المجرورات

1-1-تقديم شبه الجملة:

الأصل في شبه الجملة التي تتكون من الجار والمجرور، أو من الظرف والمضاف إليه أنْ تلي الفعل والفاعل، وتتمتع شبه الجملة بحرية كبيرة في الإنتقال من موضعها الأصلي، فقد تتقدَّم على الفعل والفاعل. وقد تتوسط بين ركنين، وبسبب السعة في تصرَّفها، نجد كثيراً من المواضع التي لا يجوز فيها التقديم والتأخير إلا إذا كان ذلك بشبه الجملة. والاستعمال اللغوي يجيز أنْ يتوسط مكون بين الفعل والفاعل[2]، يقول المبرِّد:"وحَدُّ الظرف أنْ يكون بعد المفعول به،من ثمة جاز:لقيت في داره زيداً"[3].

"وقد يأتي هذا المكون مفعولاً أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً،ولَّعل وقوع هذه المكونات يأخذ مسوغاً له يتمثل في أن كلاًّمنها يشكل محوراً،أيْ أسندت إليه وظيفة جديدة جعلته موضع الحديث والإهتمام، فشكل بذلك مركزاً،وبذلك يكون تفسير توَّسط هذه المكونات تفسيراً وظيفياً"[4].

أماَّ في ما يخص الجانب البلاغي، فنجد البلاغيين تناولوا شبه الجملة متقدِّمة على الفعل ؛ أيْ متصدرَّة الجملة،ويكون ذلك إما في الإثبات،وقد يكون وارداً في النفي.

---

[1]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م،ص191.

[2]-ينظر :السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، المكتبةالتوفيقية،القاهرة. (د.ت). ص259-260-261.

[3] -المبرد،المقتضب، ج4، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،مصر،القاهرة، ط2، (1979م) ، ص102.

[4]- عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ط1، دار الإسراء، عمان، 2002م، ص351.

وأشار إلى هذه المسالة اِبن الأثير بقوله:"وأما تقديم الظرف،فإنه إذا كان الكلام مقصوداً به الإثبات، فإنَّ تقديمه أَوْلَى من تأخيره، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره، فإذا أُرِيد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره، وكلا الأمرين له موضع يختص به. فأماَّ تقديمه في النفي فإنه يقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره. أماَّ تأخيره فإنه يقصد النفي أصلاً من غير تفضيل"[1].

وضرب اِبن الأثير، كثيرا من الشواهد القرِآنية التي تقدِّم فيها الظرف لأسباب بلاغية.

ويرى العلوي في حديثه عن تقديم الظرف :"أنَّ الظرف يلزم التقديم على عامله إذا جاء في سيَّاق الإثبات ؛لأنَّ تقديمه إنما يكون لغرض لا يحصل مع تأخيره"[2].

و يشير إلى أن الغرض من تقديم الظرف على عامله، يكون على وجهين؛ أحدهما :الدلالة على الاختصاص،كقولهتعالى:"أَلاَ إلىَ اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ"[3]؛لأنَّ المعنى أنَّ الله تعالى مختص بصَيْرُورَةْ الأمور إليه دون غيره، وثانيهما: مراعاة المشاكلة لرؤوس الآيات في التسْجيع ، كقوله تعالى:"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلىَ رَبِهَا نَاظِرَةٌ"[4]، فالتقديم هنا من أجل المطابقة اللفظية في تناسب الآيات و تشاكلها.

وتتقدَّم شبه الجملة جوازاً المسوِّغات، منها:

1-الأهمية:

يتقدَّم الجار والمجرور في بعض الأحيان ؛ لأهميته ،وللفت الخاطر إليه؛ولأهمية إنكاره ،نحو:(إلى المدرسة ذهب عليٌّ)، لمن يُعْلَمُ أنَّ (عليٌّ) عزم أن لا يذهب إلى ذلك المكان،فقدَّم هنا لأهمية ذكر المكان الذي ذهب إليه (عليّ)،وأماَّ إذا قيلت الجملة السابقة

[1]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، المكتبة العصرية،بيروت،صيدا. (1995م)، ص39.

[2]- محمد عبد الله العبيدي، دلالات التراكيب عند يحي لبن حمزة العلوي، مجلة الباحث الجامعي، العدد 10، جامعة آب، مارس 2006م ص137-138.

[3]- سورة الشورى، الآية 53.

[4]- سورة القيامة، الآية 22-23.

دون ورود سياق معها، أو إشارات لفهمها جيّدا، فقد يقول قائل: إنَّ المتكلم أراد التخصيص بأنَّ (عليٌّ) ذهب (إلى المدرسة) ،لا إلى مكان آخر.

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:"وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ"[1] حيث تقدَّم الجار والمجرور (لله) على المفعول به (شركاء)،لأهمية توجيه الإنكار إلى كون الشركاء لله،لا إلى مطلق الجعل.

2-رعاية حسن نظم:

قد يتقدَّم الجار والمجرور على الفعل و الفاعل أو على المفعول به؛لمراعاة الحُسْنُ في نظم الكلام ،كقوله تعالى:"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ''إِلىَ رَبِهَا نَاظِرَةٌ"، فذهب اِبن الأثير إلى أنَّ"تقديم الظرف في الآية السابقة إنَّما قوله تعالى:"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلىَ رَبِهَا نَاظِرَةٌ" أحسن من لو قيل:وجوه يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربّها ، والفرق بين النظمين ظاهر"[2].وربما يكون تقديم شبه الجملة هنا إبراز مكان النظر،فهو إلى ربّها لا إلى شيء آخر،فأبرز ذلك المعنى من خلال التقديم ، زيَّادة على ما في ذلك من حسن السبك و جمال النظم.

ومنه قوله تعالى:"عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"[3]. يقول العلوي في ذلك:"فهذا ،وأمثاله إنما قُدِّمَ ليس من جهة الاختصاص، وإنما كان من أجل ما ذكرناه من المطابقة اللفظية في تناسب الآية، وتشاكلها"[4].

3-التعظيم أو التحقير،أو لتعجيل المسرة أو المساءة:

ومنهقوله تعالى :"وَالذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ"[1]،حيث قدِّم الجار والمجرور (على صلاتهم) على الفعل (يحافظون)؛لتعظيم أمر الصلاة،و قوله

[1]- سورة الأنعام، الآية 100.
[2]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا. (1995م)، ص39-40.
[3]- سورة هود، الآية 88.
[4]- يحي العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، ج2، مطبعة المقتطف، مصر 1914.ص71.

تعالى:"وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"[2]، حيث قدَّم الجار والمجرور (بما)، لأنَّ الكلام علينا و على أعمالنا فقدَّمها لنرتدع ونحذر؛وقد يكون التقديم لأداة معنى لا يُفْهَمُ بدونه كقوله تعالى:" وَقَال رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فَرْعُونَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولُ رَبِّي اللهُ"[3]، حيث قدَّم الجار والمجرور (من آل فرعون) على الفعل (يكتم) لإفادة أنَّ هذا الرجل هو من آل فرعون ،ولو أَخَرَهُ و قال (و قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون) لَمَا فَهُمَ أنه منهم، بل لاحتمل المعنى أنَّ هذا الرجل، يكتم إيمانه من آل فرعون ، أيّ يخفيه عنهم ،والمعنى الأول هو المقصود"[4].

ومن الأمثال العربية التي تقدَّمت فيها شبه الجملة على الفعل والفاعل قولهم:"بِالسَّاعِدَيْنِ تَبْطِشُ الكَفَّانِ"[5]. ويضرب هذا المثل في تعلون الرجلين و تساعدهما وتعاضدها في الأمر.وفي رواية أخرى "بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الكَفُّ"[6] ويضرب هذا مثلا على قلة الأعوان ؛ فقدَّم الساعد لأهميته في أداء المعنى فالهدف إظهار أهمية الأعوان ودورهما في تحقيق الهدف.و لهذا كان تقديم الساعدين متوافق مع وقع أهمية الدور الذي يؤديه في المثل،إذ إنَّ مدار المثل على الأعوان وأثرهما، فلو أُخِّرَ الساعد في المثل لكان تبطش اليد بالساعدين،فيكون المثل مجرد إخبار،لا تتحقق فيه تلك الفائدة التي يبرزها تقديم شبه الجملة ومنه قولهم:"عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ"[7]و براقش كلبة لقوم من العرب،فأغيرعليهم،فهربوا ومعهم براقش،فاتبع القوم آثارهم بنُبَاحْ براقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم.

---

[1]- سورة المعارج، الآية 34.
[2]- سورة آل عمران، الآية 180.
[3]- سورة غافر، الآية 29.
[4]- السامرائي فاضلصالح، معاني النحو، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،الأردن،عمان. (2000م).ص108.
[5]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص137.
[6]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج2، دار الجيل،بيروت، ط2 ،1983 م.ص176.
[7]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص18.

حيث تقدَّم الجار و المجرور (على أهلها) على الفعل و الفاعل (تجني براقش) لتعجيل المساءة ،و لبيان موضع التأثير، إذ إنَّ الأهل هم المتأثرون وهم مدار الشاهد الدلالي في ضرب المثل لذا كان تقديم شبه الجملة ،و بذلك يبرز أثر الجناية بأنَّه على الأهل لأنهم هم أوَّل من تأثَّر بها ، و لهذا كان الانحراف عن التركيب الافتراضي ،مؤديا لمعنى جديد يبرز القيمة الدلالية لشبه الجملة في موقعها الجديد.

ومنه قولهم:"أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَ شَرَبَ"[1]يضرب هذا المثل لمن طال عمره،يريدون أَكَلَ وَشَرَبَ دهراً طويلاً. فتقدَّم شبه الجملة (عليه) على الفاعل ،لبيان من مخصوص بالحديث ، فليس المطلوب إبراز طول الدهر، وإنما من عاش مدَّة طويلة و هو مدار المثل في الدلالة، ونظرا للحرية الموقعية لشبه الجملة كان تقديمها يحمل دلالة على أهمية المعنى إذ إنَّ الدَّهر طويل بطبيعته و لكن وقعه على من طال عمره اِقتضى التقديم حتى يتم الإفصاح عن دلالة طول العمر و أثرها على الإنسان.

ومثل قولهم:"عَلَى الخَبَيرِ سَقَطَتَ"[2].الخبير:العَالِمْ،وسَقَطَتَ:عَثَرَتَ، وقد عبرَّ عن العثور بالسقوط؛لأنَّ عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه.تقدَّمت شبه الجملة (على الخبير) على الفعل و الفاعل (سقطت)؛ لأنه هو المحور الذي يدور حوله المعنى،وهو من يتمثل به، فتقدَّم ليتناسب مع دلالته، فالخبير هو المعنى المحور الذي يحمل المثل دلالته،ولذلك قُدِّمَ على الفعل لإبراز تلك الأهمية في أداء المعنى المراد من المثل ،ولعلَّ في التقديم تخصيصا لمن سقطت عليه وإبراز لأهميته الدلالية التي بني عليها المثل.

ومن الأمثلة التي تقدَّم فيها الظرف قولهم:"عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى"[3].يضرب هذا المثل الرجل يحتمل المشقَّة رجاء الرَّاحة. حيث تقدَّمت شبه الجملة (عند الصباح)

[1]- المصدر السابق، ج1، ص75.
[2]- العسكري، جمهرةالأمثال، ج2، دار الجيل، بيروت، ط2 ،1983 م.ص46.
[3]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص05.

على الفعل و الفاعل (يحمد القوم) لبيان زمن الحمد،فليس المطلوب إبراز الحمد،وإنما إبراز زمن الحمد الذي هو مدار المثل في الدلالة. ونظرا للحرية الموقعية لشبه الجملة كان تقديمها يحمل دلالة على إبراز أهميتها التي تتمثل في تسليط الضوء على البداية و الابتداء وضرورة أن يدرك الإنسان الزمن في تحقيق غايته.فلو تَغَيَّرَ الموقع التركيب لشبه الجملة،لتلاشت هذه الدلالة،وأصبح القصد الإخبار عن حمد القوم للسرى في وقت الصباح لا في غيره من الأوقات.

و تقدَّمت شبه الجملة (عند الرهان) على الفعل و نائب الفاعل (يعرف السوابق) في قولهم:"عِنْدَ الرَّهَانِ يُعْرَفُ السَّوَابِقَ"[1]. يضرب هذا المثل الذي يَدَّعِي ما ليس فيه؛لبيان موضع التأثير؛فلأنَّ (الرهان) هو مدار الشاهد الدلالي في ضرب المثل كان تقديم شبه الجملة أدلَّ في إبراز الشرط الذي يخبر به الناس،ولهذا جاء متقدَّما ليتناسب موقعه التركيبي مع موقعه الدلالي في تشكيل محور المعنى.

وتقدَّم الظرف و المضاف إليه (قبل الرِّماءِ) على الفعل وفاعله في قولهم :"قَبَلَ الرِّمَاءِ تُمْلأُ الكَنَائِنُ"[2] أيّ تؤخذ أهمية الأمر قبل وقوعه للأهمية.فالاستعداد و الأهمية هما ما يدلّ عليهما معنى المثل وعليهما يضرب،ولذلك قدَّمه المتكلم إدراكا لأهميته في إبراز المعنى الذي يفصح عنه. فلو تأخرت شبه الجملة لكانت منطقية في تركيبها ودلالتها وتلاشت القيمة المعنوية لها.

[1]- المصدر السابق، ص42.

[2]- الميداني، مجمع الأمثال، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1998 م، ص122.

الفصل الثّالث: التّقديمو التّأخير في سورة البقرة

المبحث الأوّل : لمحة حول سورة البقرة

أوّلاً : بين يدي السّورة

سورة البقرة من السّور المدنيّة (نزلت في مدد شتّى ، و قيل هي أوّل سورة نزلت في المدينة إلى قوله تعالى : [[وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ]][1] فإنّها آخر آية نزلت من السّماء ، و نزلت يوم النّحر في حجّة الوداع بمنى ، وآيات الرّبا أيضاً من أواخر مانزل من القرآن)[2] و هي أطول سور القرآن على الإطلاق ، (و آياتها مائتان و ثمانون وسبع آيات و كلماتها ستة آلاف كلمة و مائتان و إحدى و عشرون كلمة و حروفها خمسة و عشرون ألفاً و خمسمائة حرف و الله أعلم)[3].و شأنها كشأن سائر السّور المدنيّة التّي تعالج النّظم و القوانين التّشريعيّة للدّولة الإسلاميّة الجديدة . فقد اشتملت هذه السّورة الكريمة على معظم الأحكام التشريعية في العبادات و المعاملات و الأخلاق ، و في أمور النّكاح و العدّة و الطّلاق ، و سائر الأحكام الشّرعيّة من صلاة و صيام وحج و زكاة ، لأنَّ المسلمين كانوا في بداية تكوين " الدّولة الإسلاميّة " و هم في أمسّ الحاجة إلى التّشريع الآلهي الذّي يسيرون عليه في حياتهم الدّنيويّة سواءاً منها ماكان في العبادات أو المعاملات.

وسميّت بهذا الإسم ، إحياء لذكرى تلك المعجزة التّي ظهرت في زمن موسى ، حيث قتل شخص من بني إسرائيل و لم يعرف قاتله ، فأوحى الله إليه أنْ يأمرهم بذبح بقرة و أنْ يضربوا الميّت بجزء منها فيحيا بإذن الله و يخبرهم عن القاتل ، و تكون برهاناً على قدرة الله جلّا وعلا في إحياء الخلق بعد الممات .

---

[1]- سورة البقرة ،الآية 281.

[2]-ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت 1413ه.ص10 /152.

[3]-ينظر : تفسير إبن كثير، ت/حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه، ص 56-57

ثانيا : فضائل السّورة

وردت أحاديث عدّة في فضل هذه السّورة ، و هذه الأحاديث منها ما يذكر فضل السّورة إجمالاً و منها ماهو خاصّ بآيات معيّنة .

أ – ماورد في فضلها بوجه عامّ

روى مسلم في صحيحه [1]، و التّرميذي في سننه[2] عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلّى اللّهعليه و سلّم قال : [[لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرْ ، إِنَّ الشَّيْطَانُ يَنْفُرُ مِنَ البَيْتِ الذِّي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةُ]] و عند مسلم أيضاً عن أبي أمامة الباهلي قال :سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : [[إِقْرَأُوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيّامة شفيعاً لأصحابه ، إقرأوا الزّهراوين : البقرة و سورة آل عمران فإنّهما تأتيان يوم القيّامة كأنّهما غمامتان أو كأنّهما غيايتان ، أو كأنّهما فرقان من طير صواف ، تحاجّان عن أصحابهما ، إقرأوا سورة البقرة ، فإنَّ أخذها بركة ، و تركها حسرة ، و لا يستطيعها البطلة]][3].

(قال أهل اللّغة : الغمامة و الغياية كلّ شيء أظلّ الإنسان فوق رأسه من سحابة و غبرة وغيرها ، قال العلماء : المراد أنَّ ثوابهما يأتي كغمامتين)[4].

ب – ماورد في فضل آيات منها :

[1]-ينظر : كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، برقم 780.
[2]-ينظر : رواه في كتاب فضائل القرآن برقم / 2877. باب ما جاء في سورة البقرة، برقم /2877.
[3]-ينظر : هذا لفظ مسلم ولفظ الترمذي
[4]- ينظر :-كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم 804.

1-فضل آية الكرسي :روى مسلم عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : [[يَا أَبَا المُنْذِرْ أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟]] قال قلت : الله و رسوله أعلم قال : يا أبا المنذر أتدري أيّ آية في كتاب الله معك أعظم ، قال : قلت : الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم قال : فضرب في صدري و قال **:** [[و اللَّهِ ليهنك العلم أبا المنذر]][1] .

2 – فضل خواتم سورة البقرة : روى البخاري عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال النّبي صلّى الله عليه و سلّم : [[مَنْ قَرَأَ بالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرْ سورة البقرة في ليلة كفتاه]][2].

ثالثاً : مناسبة السّورة لما قبلها

قال البقاّعي : (لما أخبر سبحانه وتعالى أنَّ عبادة المخلصين سألوا في الفاتحة هدايا السّراط المستقيم الذّي هو غير طريق الهالكين ، أرشدهم في أوّل السّورة التّي تليها إلى أنَّ الهدى المسؤل إنّما هو في هذا الكتاب ، و بيّن لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهدايا حثّا على التّخلّق بها ، و الممنوعين منها زجراً عن قربها ، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة ، لأنّها سبقت لنفي الرّيب عن هذا الكتاب و لأنّه هدى للمتّقين و لوصف المتّقين و ما يجازون به بما في الآيات الثّلاث ، و لوصف الكافرين الذّين لا يؤمنون لما وقع من الختم على سواحهم ، و الختم لعقابهم ليعلم أنّ ما اتصف به المتّقون هو السّراط المستقيم فيلزم ، و ما اتصف به من عداهم هو طريق الهالكين فيترك)[3].

---

[1]-ينظر : صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم 809. ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في آية الكرسي برقم 1460.

[2]-ينظر : انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، برقم 5009.

[3]-ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، ط2، القاهرة، 1413ه ،1/77-78.

المبحث الثاني : تقديم بعض المتعلّقات على بعض

أولا : المنصوبات

أ/تقديم المفعول على الفاعل

تقدّم المفعول على الفاعل في سورة البقرة ، فيما يربو على عشرين موضعاً وتنوّعت تراكيب مجيئها ، و بتنوّعها تنوّع حكم تقدّمه من حيث الوجوب و الجواز ، فإذا كان الفاعل و المفعول اسمين ظاهرين ، جاز تقديم المفعول و تأخير مالم يرفع في لبس كقوله تعالى : [[أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتَ]][1] و قوله سبحانه : [[كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الموْتُ]][2].

[1]- سورة البقرة ، الآية 133.
[2]- سورة البقرة ، الآية 180.

أمّا إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول ، وجب تقدّم المفعول على الفاعل حتّى لا يعود الضّمير على متأخّر لفظاً و رتبة كقوله تعالى : [[وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]][1].

أو كان المفعول به ضميراً متّصلاً ، و الفاعل اسم ظاهر ، وجب تقديم المفعول على الفاعل كذلك ، وورد هذا النّوع كثيراً كما في هذه الآيات :

1-قالى تعالى : [[فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ]][2].

2-قالى تعالى : [[نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ]][3] .

3-قال تعالى : [[لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ]] [4].

4-قال تعالى : [[وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ]][5] .

5-قال تعالى : [[وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ]][6] .

6-قال تعالى : [[مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ البَيِّنَاتُ]][7] .

7-قال تعالى : [[مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ]][8] .

8-قال تعالى : [[أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ]][9] .

9-قال تعالى : [[تَحْمِلُهُ الملَائِكَةُ]][10] .

10-قال تعالى : [[فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ]][11] .

11-قال تعالى : [[فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ]][1] .

---

[1]- سورة البقرة ، الآية 124.
[2]- سورة البقرة ، الآية 55.
[3]- سورة البقرة ، الآية 100.
[4]- سورة البقرة ، الآية 118.
[5]- سورة البقرة ، الآية 186.
[6]- سورة البقرة ، الآية 204.
[7]- سورة البقرة ، الآية 209.
[8]- سورة البقرة ، الآية 213.
[9]- سورة البقرة ، الآية 248.
[10]- سورة البقرة ، الآية 248.
[11]- سورة البقرة ، الآية 266.

12-قال تعالى : [[يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ]][2] .

و هذا تقسيم نحوي ، و أنعم به من طريق يفسح مجالاً رحباً للسّائر المتأمّل لأسرار هذه التّراكيب .

فقوله تعالى : [[أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ]][3] .

و قوله سبحانه : [[كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ المَوْتُ]][4] .

مع أنَّ الفاعل المتأخّر واحد و هو (الموت) إلّا أنَّ السّر هنا غيره هناك ، و هي دلالة واضحة على أثر السّيّاق في تحديد السّر البلاغي في اللّغة القرآنيّة ، فالآية الأولى قدّم يعقوب عليه السّلام للاهتمام به ، إذ المراد بيان كيّفيّة وصيّته لبنيه بعد مابيّن ذلك إجمالاً في قوله : [[يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ]][5] .

و يتّضح الاهتمام جلياً عندما ذكره سبحانه باسمه ولم يقل " حضره " مع تقدّم اسمه في الآية قبلها .

و أمّا الآية الثّانيّة [[إذا حضر أحدكم الموت]]فليس ثمّة اهتمام بالمقدّم ، و إنّما يفيد تقديمه كمال الفاعل عند النّفس وقت وروده عليها ، ولعمري أيّ أمر أمكن منه ، و أشدّ من سكراته و أذهل ، و كفاك بها شدّة طلب الحبيب المصطفى من حبيبه الإعانة " اللّهمّ أعنّي على سكرات الموت "[6].

و السّكرات جمع سكرة قال الرّاغب و غيره : السّكر حالة تعرض بين المرء و عقله ، و أكثر ما تستعمل في الشراب المسكر ، و يطلق في الغضب و العشق و الألم و

---

[1]- سورة البقرة ، الآية275.

[2]- سورة البقرة ، الآية 284.

[3]- سورة البقرة ، الآية133.

[4]- سورة البقرة ، الآية 180.

[5]- سورة البقرة ، الآية 132.

[6]- جزء من حديث عائشة رضي الله عنها رواه أحمد في مسنده برقم 24410، 72/6، والترمذي في سننه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت برقم 978، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم 1623.

النّعاس و الغشيالناشئ عن الألم ، و هو المراد هنا ، و الشّدّة في الموت لا تدلّ على نقص في المرتبة ، بل هي للمؤمن إمّا زيادة في حسناته ، وإمّا تكفير لسيّآته.

(قيل لعمرو بن العاص في مرضه الذّي مات فيه : كيف تجدك؟ قال : أَجِدني أذوب و لا أثوب ، فلمّا قربت نفسه من أنْ تفيض ، قال له ابنه قد كنت تحبّ أَنْ ترى عاقِلَا فطناً قد احتضر ، فتسأله عمّا يجد المحتضر و قد احتضرت ، و أنا أحبّ أنْ تصف لي الموت ، فقال : أجد كأنَّ السّماءَ منطبقة على الأرض ، و كأنّي أتنفّس من خرم إبرة) [1].

و من تقديم المفعول في هذه السّورة قوله سبحانه : [[وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ]][2].

(إِبْرَاهِيمَ) مفعول قدّم على الفاعل للاهتمام به ، إذ كون الرب مبتليّاً معلوم ، فإنّما يهتم السّامع بمن ابتلى (و التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة تشريف له عليه السّلام و إيذان بأنَّ ذلك الابتلاء تربية له و ترشيح لأمر خطير).

و منه قوله سبحانه : [[قَالَ أَنَّى يُحْيِ هَذِهِ القريةِاللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا]][3].

(معناه أيّ من أيّ طريق و بأيّ سبب ؟ و ظاهر اللّفظ السّؤال عن إحياء القرية بعمارة و سكّان ، كما يقال الآن في المدن الخربة التّي يبعد أنْ تعمّر و تسكن . فكأنَّ هذا تلهّف من الواقف المعتبر على مدينته التّي عهد فيها أهله و أحبّته) (و تقديم المفعول به على الفاعل للاعتناء بها من حيث أنَّ الاستبعادناشئ من جهته لا من جهة الفاعل)

[1]-ينظر : بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، ت/محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1402 ه، 271/2,

[2]- سورة البقرة ، الآية 124.

[3]- سورة البقرة ، الآية 259.

فلمّا قال المارّ هذه المقالة مستبعداً لإحياء القرية التّي مرّ عليها بالعمارة لها و السّكون فيها ضرب له سبحانه المثل في نفسه بما هو أعظم ممّا سأل عنه " فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه ".

(لم يقل له كيف ، إنّما أراه في عالم الواقع كيف ، فالمشاعر و التّأثيرات تكون أحياناً من العنف و العمق بحيث لا تعالج بالبرهان العقلي ، و لا حتّى بالمنطق الوجداني ، و لا تعالج كذلك بالواقع العام الذّي يراه العيان ...إنّما يكون العلاج بالتّجربة الشّخصيّة الذّاتيّة المباشرة التّي يمتلئ بها الحسّ و يطمئنّ بها القلب دون كلام).

ب-تقديم المفعول الأوّل على الفاعل

قال تعالى : [[لِلْفُقَرَاءِ الذِّينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمْالجَاهِلُ أَغْنِيَّاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ]][1].

قوله : [[لِلْفُقَرَاءِ الذِّينَ أُحْصِرُوا في سَبِيلِ اللَّهِ]]

قال ابن عبّاس : هم أصحاب الصّفة (و هم نحو أربعمائة رجل من مهاجري قريش ، لم يكن لهم مساكن في المدينة و لا عشائر ، فكانوا في صفة المسجد ، و هي سقيفة يتعلّمون القرآن باللّيل و يرضخون النّوى بالنّهار ، و كانوا يخرجون في كلّ سرّية بعثها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى)[2].

و قال مجاهد : هم فقراء المهاجرين من قريش أمر بالصّدقة عليهم .

و " للفقراء " (في موضع الخبر لمبتدأ محذوف ، و كأنّه جواب سؤال مقدّر ، كأنّه قيل لمن هذه الصّدقة المحثوث على فعلها ؟ فقيل : للفقراء ، أيّ هي للفقراء ، فبين

[1]- سورة البقرة ، الآية 273.

[2]-نقلا عن الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة،بيروت. (د.ت) 313/1.

مصرف النّفقة ، وقيل تتعلّق اللّام بفعل محذوف تقديره اعجبوا للفقراء، أو اعمدوا للفقراء ، و اجعلوا ما تنفقون للفقراء)[1].

" الذّين أحصروا " قال يونس بن حبيب : (أحصر الرّجل ردّ عن وجه يريده).

و معنى الإحصار (تصيير الرّجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدو ، أو غير ذلك من علله إلى حالة يحبس نفسه فيها عن التّصرّف ... قال قتادة " احصروا في سبيل الله " حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو).

قوله : [[لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ]][2]

(أيّ تصرّفاً فيها إمّا لزمنهم ، و إمّا لخوفهم من العدو لقتلتهم ، فقتلهم تمنعهم من الاكتساب بالجهاد، و إنكار الكفّار عليهم إسلامهم يمنعهم من التّصرّف في التّجارة فبقوا فقراء)[3].

قوله : [[يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَّاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ]][4]

أيّ (يحسبهم الجاهل بأمرهم و حالهم أغنيّاء من تعفّفهم عن المسألة ، وتركهم التّعرّض لما في أيدي النّاس صبراً منهم على البأساء و الضّرّاء).

و " التّعفّف " ، و هو بناء مبالغة من عفّ عن الشّيء إذا أمسك عنه و تنزّه عن طلبه ، و بهذا المعنى فسّره قتادة وغيره ، و " من " في قوله " من التّعفّف " لابتداء الغاية أيّ من تعفّفهم ابتدأت محاسبته ، و ليست لبيان الجنس لأنَّ الجاهل بهم لا يحسبهم أغنيّاء ، غناء تعفّف ، و إنّما يحسبهم أغنيّاء غناء مال ، و محاسبته من التّعفّف ناشئة ، و هذا على أنّهم متعفّفون عفّة تامّة عن المسألة ، و هو الذّي تحدّث جمهور المفسّرين عليه ،

[1]-ينظر :أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م). 341/2.
[2] - سورة البقرة الآية 273.
[3]-ينظر : المصدر السابق 341/2-342.
[4] -سورة البقرة الآية 273.

لأنّهم قالوا في تفسير قوله تعالى : [[لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً]] المعنى لا يسألون البتّة[1] .

و يرى أبو حيّانأنَّ(من) السببيّة أيّ الحامل على حسبانهم أغنيّاء هو تعفّفهم ، لأنَّ عادة من كان غنيّ مال أن يتعفّف ، و قال : و كونها للسّبب أظهر .

و قدّم المفعول الأوّل و هو الضّمير في يحسبهم على الفاعل، للاهتمام بهم و الاعتناءبشأنهم ، فهم المقصودون بالآية و الحديث كلّه فيها إمّا عنهم أو لهم ، و على هذا يمكن تقسيم الآية إلى ستّة مقاطع ...

خمسة منها في الحديث عنهم و السّادس لهم :

1/فهم الفقراء في قوله تعالى : [[لِلْفُقَرَاءِ الذِّينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ]] [2]

2/و هم الذّين [[لَايَسْتَطِعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ]][3]

3/و هم الذّين [[يَحْسَبُهُمْ الجَاهِلُ أَغْنِيَّاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ]][4]

4/وهم الذّين [[تَعْرِفُهُمُ بِسِيمَاهُمْ]][5]

5/و هو الذّين [[لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً]][6]

فهذه خمسة مقاطع تحدَّثَتْ عن صفاتهم ، و المقطع السّادس ختمت به الآية [[وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ]][7] و فيه حثَّ على الإنفاق و هم أولى من ينفق عليهم ، و هذا لهم فهم أولى بالتّقديم وأحرى...

بِيْضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الأنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ[1]

---

[1]- ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413ه.369/1.

[2]- سورة البقرة الآية 273.

[3]- سورة البقرة الآية 273.

[4]- سورة البقرة الآية 273.

[5]- سورة البقرة الآية 273.

[6]- سورة البقرة الآية 273.

[7]- سورة البقرة الآية 273.

قوله : [[تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ]]

اختلف المفسّرون في تعيين هذه السّيما التّي يعرف بها هؤلاء المتعفّفون فقال مجاهد : هي التّخشّع و التّواضع ، و قال السدي و الرّبيع : هي جهد الحاجة ، و قال ابن زيد : رثاثة ثيّابهم .

و قال قوم و حكاه مكّي : هي أثر السّجود ، قال لبن عطيّة : و هذا حسن لأنّهم كانوا متفرّغين متوكلين لا شغل لهم في الأغلب إلّا الصّلاة ، فكان أثر السّجود عليهم أبداً.

و عقب القرطبي على ابن عطيّة بقوله :

(و هذه السّيما التّي هي أثر السّجود اشترك فيها جميع الصّحابة رضوان الله عليهم بإخبار الله تعالى بقوله : [[سِيمَاهُمْ فِيْ وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ]][2] فلا فرق بينهم و بين غيرهم ، فلم يبق إلّا أن تكون السّيما أثر الخصاصة و الحاجة ، أو يكون السّجود أكثر ، فكانوا يعرفون بصفرة اوجوه من قيّام اللّيل و صوم النّهار ، و الله أعلم ، و أمّا الخشوع فذلك محلّه القلب و يشترك فيه الغني و الفقير فلم يبق إلّا ما اخترناه)

و قوله : [[لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً]][3]

(يقال : قد ألحف السّائل في مسألته إذا ألحّ ، فهو يلحف فيها إلحافاً).

(و اشتقاق الإلحاف من اللّحاف ، سمي بذلك لاشتماله علو وجوه الطّلب في المسألة كاشتمال اللّحاف من التّغطية ، أيّ هذا السّائل يعمّ بسؤاله فيلحفهم في ذلك)[4].

و العلماء في معنى [[لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً]] على قولين :

---

[1]-ينظر : البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث، انظر ديوانه 179/1

[2]- سورة الفتح ، الآية 29.

[3]- سورة البقرة الآية 273.

[4]-ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت 1413ه. 222/3.

فقال قوم منهم الطّبري : أيّ لا يسألون النّاس شيئاً على وجه الصّدقة إلحافاً و غير إلحاف ، و ذلك أنَّ الله عزوجلّ وصفهم بأنّهم كانوا أهل تعفّف ، و إنّهم كانوا يعرفون بسيماهم ، فلو كانت المسألة من شأنهم صفتهم التّعفّف ،و لم يكن النّبي صلّى الله عليه و سلّم إلى علم إلى معرفتهم بالأدلّة و العلامة حاجة ، و كانت المسألة الظّاهرة تنبئ عن حالهم و أمرهم .

و قال آخرون من بينهم الزّمخشري : " إنَّ المراد نفي الإلحاف أيّ أنّهم يسالون غير إلحاف ، و هذا هو السّابق للفهم أيّ يسألون غير ملحفين ، و في هذا تنبيه على سوء حالة من يسأل إلحافاً "[1] .

و القول الأوّل : أظهر و عليه جمهور المفسّرين .

ج- تقديم المفعول الثّاني على الأوّل

قال تعالى : [[لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ و المَغْرِبِ وَ لَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ و اليَوْمِ الآخِرِ و المَلَائِكَةِ و الكِتَابِ و النَّبِيّينَ و آتَى المالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِيْ القُرْبَى و اليَتَامَى و المسَاكِينَ و ابْنَ السَّبِيلِ و السَّائِلِينَ و فِي الرِّقَابِ .....]][2]

قوله : [[و آتَى المالَ عَلَى حُبِّهِ]][3]

آتى أعطى ، و الضّمير في " حبّه " عائد على المال فالمصدر مضاف إلى المفعول ، و يحتمل أن يعود الضّمير على الإيتاء ، أيّ في وقت حاجة من النّاس وفاقه ، فإيتاء المال حبيب إليهم ، و يحتمل أن يعود على اسم الله تعالى من قوله : [[مَنْ آمَنَ باللَّهِ]] أيّ من تصدق محبة في الله و طاعاته .

[1]- ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت 1413ه. 222/3.
[2]- سورة البقرة ، الآية 177.
[3]- سورة البقرة الآية 177

و الأظهر أنّه عائد على المال لأنّه أقرب مذكور ، و من قواعد النّحويين أنَّ الضّمير لا يعود على غير الأقرب إلّا بدليل .

(و المعنى أنّه يعطي المال محبّاً له ، أيّ في حالة محبّته للمال و اختيّاره و إيثاره و هذا وصف عظيم أنْ تكون نفس الإنسان متعلّقة بشيء تعلّق المحبّ بمحبوبه ، ثمّ يؤثّر به غيره ابتغاء وجه الله)[1]كما جاء عن عبد الله بن مسعود قال : يؤتيه ، و هو صحيح شحيح يأمل العيش و يخشى الفقر .

(و على في قوله " على حبّه " مجاز في التّمكّن من حب المال ، مثل [[أُولَئِكَ عَلَى هُدَى]][2]و هي في مثل هذا المقام ، للتّنبيه على أبعد الأحوال من مظنة الوصف).

فلذلك تفيد مفاد كلمة مع ، و ندلّ على معنى الاحتراس كما هي في قوله تعالى : [[وَ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً]][3] و قول زهير :

إنْ تَلَقْ يَوْماً عَلَى عِلَّاتِهِ هَرَما تَلَقْ السّماحةَ فِيهِ و النَّدَى خُلُقاً[4]

قال الأعلم في شرحه : أيّ فكيف به و هو على غير تلك الحالة)[5].

و قوله :[[ذَوِي القُرْبَى]][6].

قرابات الرّجل وهم أولى من أعطى من الصّدقة وأفضل[7]. لما ورد في السّنّةعن سلمان بن عامر الضبي قال : قال رسول الله صلّى الله عيه وسلّم " الصّدقة على المسكين صدقة ، و على ذي القرابة اثنتان : صدقة و صلة "[1].

---

[1]-ينظر :أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م). 6/2.

[2]- سورة البقرة ، الآية 05.

[3]-سورة الإنسان ، الآية 08.

[4]- البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح فيها هرما و أباه و إخوته ، انظر ديوانه ص39.

[5]-ينظر : التحرير والتنوير،لمحمد الطاهر إبن عاشور، نسخة مصورة عن الدار التونسية للنشر 130/2.

[6]- سورة البقرة الآية 177.

[7]-ينظر : تفسير إبن كثير، ت/حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه.210/1.

قوله : [[و اليَتَامَى]]

(هم الذّين لا كاسب لهم ، و قد مات أباؤهم و هم ضعفاء صغار دون البلوغ)[2] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : حفظت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " لا يتمّ بعد احتلام ، و لا صُمات يوم إلى اللّيل "[3].

قوله : [[و المسَاكِينَ]][4]

(و هم الذّين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم و كسوتهم و سكناهم ، فيعطون ما تسدّ به حاجتهم و خلّتهم)[5] .

قوله : [[وَ ابْنَ السَّبِيلِ]][6]

و هو المجتاز بالرّجل و من ثمّ اختلفوا في صفته فقيل هو المسافر المنقطع ، و قيل هو الضّيف ، و الأول أعمّ، و جعل ابنا للسّبيل لملازمته له ، كما يقال لطير الماء ابن الماء لملازمته إيّاه ، و للرّجل الذّي أتت عليه الدّهور ابن الأيّام و اللّيالي[7] .

قوله : [[و السَّائِلِينَ]][8]

(و السّائلون هم المستطعمون ، و هو الذّي تدعوه الضّرورة إلى السّؤال في سدّ خلّته إذ لا تباح له المسألة إلّا عند ذلك)[9] .

قوله : [[و فِي الرِّقَابِ]][10]

---

[1]- أخرجه أحمد في مسنده برقم 262/4018791، وابن ماجه في سننه في كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة برقم 1842، و الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة برقم 658.

[2]-ينظر : تفسير إبن كثير، ت/حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه،310/1.

[3]- أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم 2873.

[4]- سورة البقرة الآية 177.

[5]-ينظر : تفسير إبن كثير، ت/حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه،310/1.

[6]- سورة البقرة الآية 177.

[7]-ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).97/2.

[8]- سورة البقرة الآية 177.

[9]-ينظر :أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م).7/2.

[10]- سورة البقرة الآية 177.

(أيّ في فكّ الرّقاب)[1] (و يراد به العتق و فكّ الأسرى و إعطاء أواخر الكتابات)[2].
و قوله : [[ذَوِيْ القُرْبَى]] و مابعده من المعطوفات هو المفعول الأوّل على مذهب الجمهور ، والمال هو المفعول الثّاني ، (و لمّا كان المقصود الأعظم هو إيتاء المال على حبّه قدّم المفعول الثّاني إعتناء به لهذا المعنى)[3] ، (أو لأنَّ في المفعول الثّانيّ مع ماعطف عليه طولا لو روعي التّرتيب لفات تجاوب الأطراف في الكلام ، و هو الذّي إقتضى تقديم الحال أيضاً) و يقتصد بالحال " على حبّه " و جميل أنْ يكون التّقديم لهما جميعاً فيجتمع بذلك جمال النّظم و جلال المعنى .

د-تقديم الظّرف على نائب الفاعل

قال تعالى : [[أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَّامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمْ ....]] [4]

سبب نزول الآية :

(عن البراء بن عازب قال : كان المسلون إذا أفطروا يأكلون و يشربون و يمسون النّساء ، ما لم يناموا، فإذا ناموا لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلى مثلها (من القابلة) و إنَّ قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فأتى أهله عند الإفطار فانطلقت امرأته تطلب شيئاً و غلبته عينه فنام ، فلمّا انتصف النّهار من غد غشى عليه قال : و أتى عمر امرأته و قد نامت ، فذكر ذلك لِلنّبي صلّى الله عليه فنزل [[أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَّامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ]] إلى قوله " من الفجر " ففرح المسلمون بذلك)[5] .

(و مناسبة هذه الآية لما قبلها من الآيات ، أنَّها من تمام الأحوال التّي تعرض للصّائم ، و لما كان افتتاح آيات الصّوم بأنّه كتب علينا كما كتب على الذّين من قبلنا ، اقتضى

[1]-ينظر : زاد المسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، (د.ت) 179/1.
[2]-ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413ه.243/1.
[3]-ينظر :أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م). 7/2.
[4]- سورة البقرة ، الآية 187.
[5]-ينظر : أسباب نزول القرآن للواحدي، ت /أحمد صقر، دار القبلة،جدة، ط2، 1404ه. ص45.

عموم التّشبيه في الكتابة، و في العدد ، و في الشّرائط ، و سائر تكاليف الصّوم ، و كان أهل الكتاب قد أمروا بترك الأكل و الشّرب و الجماع في صيّامهم بعد أنْ يناموا ، و قيل بعد العشاء و كان المسلمون كذلك فلما جرى لعمر و قيس ماذكرناه في سبب النّزول ، أباح الله لهم ذلك من أوّل اللّيل إلى طلوع الفجر ، لطفاً بهم، و ناسب أيضاً قوله تعالى في آخر آية الصّوم : [[يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ اليُسْرَ و لَا يُرِيدُ بِكُمْ العُسْرَ]][1] و هذا من التّيسير) .

قوله : [[أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَّامِ]][2]

قرأ الجمهور أحلّ مبنيّاً للمفعول و حذف الفاعل للعلم به . أيّ أحلّ الله ، و المراد باللّيلة الجنس لا الواحدة[3] .

(و ليلة الصّيام اللّيلة التّي يعقبها صيام اليوم الموالي لها ، جرياً على استعمال العرب في إضافة اللّيلة لليوم الموالي لها ، إلّا ليلة عرفة فإنَّ المراد بها اللّيلة التّي بعد يوم عرفة)[4] .

(و أضيفت اللّيلة إلى الصّيّام على سبيل الاتّساع ، لأنَّ الإضافة تكون لأدنى ملابسة ، و لما كان الصيام ينوى في اللّيلة و لا يتحقّق إلّا بصوم جزء منها صحّت الإضافة) .

و قوله : [[الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ]][5]

عن ابن عبّاس قال : (الرّفث الجماع و لكن الله كريم يكنّي)[6] .

و كنّى بلفظ الرّفث الدّال على القبح بخلاف ماكنّى في آيات أخر كقوله : [[وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ]][1] و قوله : [[فَلَمَّا تَغَشَّاهَا]][2] و قوله : [[أَوْ لَامَسْتُمْ النِّسَاءَ]][3] [[

[1]-سورة البقرة ، الآية 185.
[2]- سورة البقرة الآية 187.
[3]-ينظر :أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م).55/1.
[4]- ينظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر إبن عاشور، نسخة مصورة عن الدار التونسية للنشر 182/2.
[5]- سورة البقرة الآية 187.
[6]- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).161/2.

دَخَلْتُمْ بِهِنَّ]][4] [[فَأْتُوا حَرْثَكُمْ]][5] [[مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ]][6] [[فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ]][7]استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة ، كما سمّاه اختياناً لأنفسهم[8] [[عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ]][9] .

و عدى الرّفث بإلى لتضمينه معنى الإفضاء ، و إلّا فأصل تعديته بالباء . (و أضاف النّساء إلى المخاطبين لأجل الاختصاص ، إذْ لا يحلّ الإفضاء إلّا لمن اختصّت بالمفضي إمّا بتزويج أو ملك)[10] .

(و تقديم الظّرف على القائم مقام الفاعل للتّشويق ... فإنَّ ماحقّه التّقديم إذا أخر تبقى النّفس مترقّبة إليه ، فيتمكن وقت وروده فضل تمكّن) . لا سيّما و قد سبق ذاك ما يحث النّفس على جلائه ، فافعل "أحلّ" و ما فيه من دلالة الإباحة بعد الحضر ، و النّفس بطبعها تهوى اليسر و تتطلّبه ، و الضّمير " لكم " فهم المعنيون بذلك لا غيرهم ، و هذا ممّا يدفعهم لمعرفة ما يأتي بعده فالخكم يخصّهم ، فإذا قدّم ما حقّه التّأخير و هي مرحلة ثالثة من مراحل التّشويق تجعلهم في حالة ترقّب و تأهّب لما سيلقى على أسماعهم .

ثانيّا :المجرورات

أ/ تقديم الجار و المجرور على الفاعل

---

[1]- سورة النساء، الآية 21.
[2]- سورة الأعراف، الآية 189.
[3]- سورة النساء، الآية 43.
[4]- سورة النساء، الآية 23.
[5]- سورة البقرة، الآية 223.
[6]- سورة البقرة، الآية 237.
[7]- سورة النساء، الآية 24.
[8]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت. (د.ت). 228/1.
[9]- سورة البقرة، الآية 187.
[10]- ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (1993م).55/2.

قال تعالى : [[وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً]][1]

قوله :[[فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً]]

" فانفجرت " (الفاء للعطف على جملة محذوفة التّقدير " فضرب فانفجرت " كقوله تعالى :[[أنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البحر فانفلق]][2]أيّ فضرب فانفلق ، و يدلّ على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتباً على ضربه ، إذ لو كان ينفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة و لكان تركه عصياناً ، و هو لا يجوز على الأنبيّاء عليهم الصّلاة و السّلام).

" منه " (متعلّق بقوله فانفجرت ، و من هنا لابتداء الغاية ، و الضّمير عائد على الحجر المضروب ، فانفجار الماء كان من الحجر)[3].

و تقدّم الجار و المجرور " منه " على الفاعل " اثنتا عشرة " لغرابة الحدث فليس غريباً أن تنبع العيون من الأرض و تنفجر ، لكن أنْ تنفجر من حجر أمامهم لا اتّصال له بالأرض و متى ما أرادوا وبقدر حاجتهم ، و انقطاعه عند الاستغناء عنه فهو الغريب و العجيب ، و هكذا خوارق السّماء و معجزات الأنبيّاء خروج عن المألوف ، كي تذعن النّفوس لها و تجيب الدّاعي (لقد كانوا بين الصّحراء بجدبها و صخورها ، و السّماء بشواظبها و رجومها ، فأمّا الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء، و أمّا السّماء فأنزل لهم منها المنّ و السّلوى ك عسلاً و طيراً ، و لكنّ البنية النّفسيّة المفكّكة و الجبّلة الهابطة المتداعية ، أبت عليهم ان يرتفعوا إلى مستوى الغاية التّي من أجلها أخرجوا من مصر ، و من أجلها ضربوا في الصّحراء ، لقد أخرجهم الله على يدي نبيّهم موسى

[1]- سورة البقرة، الآية 60.
[2]- سورة الشعراء، الآية 63.
[3]- ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (1993م).290/1.

عليه السّلام من الذّل و الهوان ليورثهم الأرض المقدّسة ، و ليرفعهم من المهانة / و للحرية ثمن ، و للعزّة تكاليف ، و للأمانة الكبرى التّي ناطهم الله بها فدية ، و لكنّهم لا يريدون أن يؤدوا الثّمن ، و لا يريدون أن ينهضوا بالتّكاليف ، و لا يريدون أن يدفعوا الفدية) . فكان جزاؤهم [[اهْبِطُوا مِصْراً فإنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ المسْكَنَةُ]][1]فهم ليسوا أهلاً للعظائم و الأمور التّي ندبوا لها.

قوله:[[اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً]] (كان هذا العدد دون غيره لكونهم كانوا إثنى عشر سبطاً ، بينهم تضاغن و تنافس ، فأجرى الله لكلّ سبط منهم عينا يرده لا يشركه فيه أحد من السّبط الآخر) .

و من شواهد هذا قوله سبحانه : [[ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً و إنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ و إنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَ إنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ و مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ]][2] .

فقوله:[[وإنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ و إنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهَا المَاءُ]][3]

الضّمير في " منه " يعود إلى الحجارة ، و منه لابتداء الغاية ، و ماقيل في الآية السّابقة يقال هنا فتقديم الجار و المجرور " منه " على الفاعل (الأنهار ، الماء) لغرابة أنْ يقع ذلك منها و كيف تستجيب لما هو خلاف العادة ، و لذلك مثّل بها ، بينما قلوبهم قاسيّة ، و هذه (الحجارة التّي يقيس قلوبهم إليها ، فإذا قلوبهم منها أقسى ...هي حجارة لهم بها سابق عهد ، فقد رأوا الحجر تنفجر منه اثنتا عشرة عينا، و رأوا اجبل

[1]-سورة البقرة، الآية 61.
[2]- سورة البقرة، الآية 74
[3]- سورة البقرة الآية 74.

يندك حين تجلّى عليه الله و خر موسى صعْقاً ؛ لكن قلوبهم لا تلين و لاتنذى ، ولا تنبض بخشية و لا تقوى ، قلوب قاسيّة كافرة) .

قال بعض أهل اللّطائف : خلق الله الحجارة و أودعها صلابة يفرق بها أجزاء كثيرة ممّا صلّب من الجوامد ،و خلّق الأشجار رطبة الغصون ليست لها قوّة الأحجار فتؤثّر فيها تفريقاً بأجزائها ، و لا تفجير العيون ماءها بل الأحجار تؤثّر فيها ، فلمّا أيّدت بقوّة النّبوة انفلقت بها البحار و تفرّقت بها أجزاء الأحجار و سالت بها الأنهار[[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِيْ الأَبْصَارِ]] [1].

و منه قوله سبحانه : [[بَلَّى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً و أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]][2]

قوله : [[وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ]] (أيّ اجتمعت عليه فمات عليها قبل الإنابة و التّوبة منها و أصل الإحاطة بالشّيء : الإحداق به بمنزلة الحائط الذّي تحاط به الدّار فتحدق به و منه قول الله جلّ ثناؤه [[نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا]][3] فتأويل الآية إذا : من اشرك بالله و اقترف ذنوباً جمّة ، فمات عليها قبل الإنابة و التّوبة ، فأولئك أصحاب النّار هم فيها مخلدون أبداً) .

(عن ابن عبّاس[[وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ]]قال : يحيط كفره بماله من حسنة .

و عن مجاهد قال : ما أوجب الله فيه النّار .

و عن عطاء قال : الشّرك)[4] .

---

[1]- سورة آل عمران ، الآية 13

[2]- سورة البقرة ، الآية 84.

[3]- سورة الكهف ، الآية 29.

[4]-ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).1/287-286.

و في[[و أحاطت به خطيئته]](أبلغ استعارة ، و ذلك أنَّ الإنسان إذا ارتكب ذنباً ، و استمرّ عليه استجرّه إلى إتيان ما هو أعظم منه فلا يزال يرتقى ، حتّى يطبع على قلبه ، فلا يمكنه أن تخرج عن تعاطيه). و " به " جار و مجرور متعلّق بأحاطت و الباء للإلصاق ، و الإلصاق هنا مجاز أشبه بالحقيقة ، و الضّمير يعود على مرتكب الخطيئة ، و تقديم الجار و المجرور على الفاعل " خطيئته " للاعتناء به ، فهو السّبب و ماكان للخطيئة أنْ تحيط به حتّى تهلكه لولا أنّه داوم عليها ، و أصرّ على ارتكابها حتّى وصل إلى هذه النّتيجة المخزية (إنَّ الذّي يجترح الخطيئة إنّما يجترحها عادة و هو يلتذّها و يستسيغها ، و يحسب كسباً له –على معنى من المعاني – و لو أنّها كانت كريهة في حسّه ما اجترحها ، و لو كان يحسّ أنّها خسارة ما أقدم عليها متحمساً ، و ما تركها تملأ عليه نفسه ، و تحيط بعالمه ، لأنّه خليق لو كرهها و أحسّ ما فيها من خسارة أنْ يهرب من ظلّها حتّى لو اندفع لإرتكابها، و أنْ يستغفر منها ، و يلوذ إلى كنف غير كنفها ، و في هذه الحالة لا تحيط به و لا تملأ عليه عالمه ، و لا تغلق عليه منافذ التّوبة و التّكفير ...و في التّعبير: [[و أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ]] تجسيم لهذا المعنى ، و هذه خاصيّة من خواص التّعبير القرآني ، و سمة واضحة من سماته ، تجعل له وقعاً في الحسّ يختلف عن وقع المعاني الذّهنيّة المجرّدة ، و التّعبيرات الذّهنيّة التّي لا ظلّ لها و لاحركة ، و أيّ تعبير ذهني عن اللّجاجة في الخطيئة ما كان ليشع مثل هذا الظّل الذّي يصوّر المجترح الآثم ، حبيس خطيئته يعيش في إطارها ، و يتنفّس في جوّها ، و يحيا معها و لها).

ومنه قوله تعالى : [[وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ]][1]

[1]- سورة البقرة ، الآية 132.

قوله سبحانه : [[و وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ]]

"بها " متعلّق بأوصى[1]، (و الضّمير في " بها " عائد على كلمته التّي هي " أسلمت لربّ العالمين " و قيل على الملّة المتقدّمة ، و الأوّل أصوب لأنّه أقرب مذكور) و اقتصر عليه ابن جرير الطّبري في تفسيره قال : "ووصّى بها " (ووصّى بهذه الكلمة ، أعني بالكلمة قوله " أسلمت لربّ العالمين " و هي الإسلام الذّي أمر به نبيّه صلّى الله عليه وسلّم)[2] .

و تقديم الجار و المجرور " بها " على الفاعل ، للاهتمامبالموصى به و الاعتناء بشأنه ، وهذه هي الوصيّة التذي كرّرها يعقوب في آخر لحظة من لحظات حياته و كانت شغله الشّاغل الذّي لم يصرفه الموت و سكراته عنها [[أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِيْ]][3] .

و منه قوله تعالى : [[وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً]][4] .

قوله سبحانه :[[وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ]][5]

(الواو عاطفة و قال فعل ماضٍ و " لهم " متعلّقان ب " قال " ونبيّهم فاعل) و الضّمير المجرور يعود على بني إسرائيل ، و القول هنا و إنْ كان صادراً من نبيّهم إلّا أنَّ الباعث لهذا القول ، هو مطالب بني إسرائيل المتقدّمة بعد ما نالهم ذلة و غلبة عدو ، طلبوا من نبيّ لهم الإذن في الجهاد ، و أنْ يؤمر عليهم ملكاً يقوم بأمر القتال فقُدِّمَ الجار و المجرور على الفاعل .

---

[1]-ينظر:أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م)570/1.

[2]-ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).560/1.

[3]- سورة البقرة ، الآية 133.

[4]- سورة البقرة ، الآية 248.

[5]- سورة البقرة ، الآية 248.

و ما لاحظته من خلال دراستي لهذا الجانب في المواضع المتقدّمة كلّها أنَّ الباعث على تقديم الجار و المجرور هو الاهتمام به وإنْ اختلف موجبه ، و لذا نرى أبا السّعود يكتفي به عند حديثه على قولهتعالى : [[يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ]][1]قال (و تقديم الجار و المجرور على الفاعل للاعتناء به) و لم يزد على ذلك قولا ، و تابعه الألوسي .

إضافة إلى هذا وردت مواضع أخرى في سورة البقرة تقدّم الجارو المجرور فيها على الفاعل و هي:

قال تعالى : [[فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى]][2]

و قوله سبحانه:[[قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ]][3]

و قوله سبحانه :[[وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الفَاسِقُونَ]][4]

قال تعالى :[[وَ لَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَ لَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ]][5]

وقوله سبحانه :[[إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ]][6]

و قوله سبحانه: [[أَيْنَ مَا تَكُونوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً]][7]

و قوله سبحانه : [[وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ]][8]

و قوله سبحانه : [[وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ]][9]

---

[1]- سورة البقرة ، الآية 284.
[2]- سورة البقرة ، الآية 38.
[3]- سورة البقرة ، الآية 93.
[4]- سورة البقرة ، الآية 99.
[5]- سورة البقرة ، لآية 120.
[6]- سورة البقرة ، لآية 121.
[7]- سورة البقرة ، الآية 148.
[8]- سورة البقرة ، لآية 166.
[9]- سورة البقرة ، الآية 187.

هذا مااستطعت حصره من خلال إستقراء حروف الجرّ و مواقعها في التّركيب اللّغوي في سورة البقرة .

ب- تقديم الجار و المجرور على المفعول به

الجار و المجرور كما تقدّم يتوسّع فيه مالا يتوسّع مع غيره – عدا الظّرف – و يقلُّ أو يزداد هذا التّوسّع تبعاً للتّراكيب و يشهد لذلك تقديمه على المفعول به في سورة البقرة ، فقد أتى موازياً لثلاثة أضعاف تقدّمه على الفاعل ، و السّبب فيما يبدو ، فليس ثمّة فاصل بين الفعل و الفاعل في التّركيب السّائد للُّغة ممّا قلّل فرص تدخل الجار و المجرور ، أمّا المفعول فبينه و بين عامله منزلة يحتلها الفاعل فهو في المنزلة الثّانية لعامله ، و كلّما ابتعدت المعمولات عن عاملها فإنّها تتيح للجار و المجرور فرصاً أكثر للتّدخّل ، و قد ورد في سورة البقرة أربعون موضعاً أو تزيد ، تقديم الجار و المجرور فيها على المفعول به، سوف أعرض البعض منها مع ذكر بعض الشّواهد :

قال تعالى :[[وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بْحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ]][1]

ففي قوله :[[إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ]][2]

" جاعل " خبر إنَّ و له معنيان الأوّل: بمعنى خالق و يتعدّى إلى مفعول واحد ، و الثّاني : بمعنى مسيّر فيتعدّى إلى مفعولين.

[1]- سورة البقرة ، الآية 30.
[2]- سورة البقرة ، الآية 30.

وقد اقتصر ابن عطية على الأوّل و نسبه للطّبري .(قال ابن عطيّة : " جاعل " في هذه الآية بمعنى خالق ، ذكره الطّبري عن أبي روق و يقضى بذلك إلى مفعول واحد)[1].

و رجّحه أبو حيّان بقوله : (و كلا القوين سائغ إلّا أنَّ الأوّل عندي أجود لأنّهم [[قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا]] فظاهر هذا أنّه مقابل لقوله : [[جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]] فلو كان الجعل الأول على معنى التسيير لذكره ثانيّاً فكان " أتجعل خليفة من يفسد فيها " و إذا لم يأت كذلك كان معنى الخلق أرجح ، و لا إحتيّاج إلى تقدير خليفة لدلالة ما قبله عليه لأنّه إضمار ، و كلام بغير إضمار أحسن من كلام بإضمار)[2] .

[[في الأرضِ]]قيل الأرض كلّها ، و قيل أرض مكّة ، و الأوّل أظهر و هو قول الجمهور ، و القول الثّاني ورد فيه حديث مرسل عن عبد الرّحمن بن سابط و في سنده ضعف[3] .

[[خَلِيفَةً]]

قال الرّاغب الأصفهاني : خلف فلان فلاناً ، قام بالأمر عنه إمّا معه و إمّا بعده ...

و الخلافة النّيّابة عن الغير إمّا لغيبة المنوبعنه ، و إمّا لموته ، و إمّا لعجزه ، و إمّا لتشريف المستخلف.

و معنى [[إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]] (أيّ قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن و جيلاً بعد **جيل** كما قال تعالى : [[هُوَ الذِّي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ]][4]و قال : [[وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ]][5] **...** و ليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السّلام فقط

[1]-ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413ه. 116/1.
[2]-ينظر:أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان. (1993م). 266/1.
[3]-ينظر: تفسير إبن كثير، ت/حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه، 107/1.
[4]- سورة فاطر الأية 39.
[5]- سورة النمل ، الآية 62.

كما يقوله طائفة من المفسّرين ، و عزاه القرطبي إلى ابن عبّاس و ابن مسعود و جميع أهل التّأويل ، و في ذلك نظر ، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرّازي في تفسيره و غيره ، و الظّاهر أنّه م يرد آدم عيناً ، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة [[أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَاوَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ]] فإنّهم أرادوا إنَّ من هذا اذلجنس من يفعل ذلك ، و كأنّهم علموا ذلك بعلم خاصّ أو بما فهموه من الطّبيعة البشريّة ... أو فهموا من الخليفة أنّه الذّي يفصل بين النّاس ما يقع بينهم من المظالم و يردعهم عن المحارم و المآثم)[1].

و يرد إشكال هنا حول دلالة الاستحلاف . هل هو خلافة الله في الأرض ؟ أم أنّه استخلاف النّاس بعضهم بعضاً ؟ و لحلّ هذا الإشكال ، و تحريراً للمسألة أعرض لرأي الفريقين و التّرجيح بينها .

قال ابن جرير : عن ابن عبّاس و ابن مسعود : أنَّ الله جلّ ثناؤه قال للملائكة [[إنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ]] قالوا ربّنا و ما يكون ذلك الخليفة ؟ قال يكون له ذريّة يفسدون في الأرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضاً ، فيكون تأويل الآية على هذه الرّواية : إنّي جاعل في الأرض خليفة مني يخلفنيى في احكم بين خلقي ، و ذلك الخليفة هو آدم و من قام مقامه في طاعة الله ، و الحكم بالعدل بين خلقه ، و أمّا الإفساد و سفك الدّماء بغير حقها فمن خلفائه[2].

و قال أبو حيّان :(و الأنبيّاء هم خلائف الله في أرضه ، و اقتصر على آدم لأنّه أبو الخلائق ، كما اقتصر على مضر و تميم و قيس و المراد القبيلة)[3] .

[1]-ينظر: تفسير إبن كثير، ت/حسين بن إبراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه، 106/1.
[2]-ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).200/1.
[3]- ينظر:أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (1993م). 288/2.

و قال الرّاغب بعد أنْ ذكر النّيابة عن اغير لتشريف المستخلف في معرض تفسيره للخلافة يقول: و على هذا استخلف اللَّهُ أوليّاءُهُ في الأرض قال تعالى : [[هُوَ الذِّي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ]][1] و قال سبحانه : [[و يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ]][2].

و قال الفيومي :(قال بعضهم و لا يقال " خليفة الله " بالإضافة إلّا لآدم و داود لورود النّص بذلك ، و قيل يجوز و هو القياس لأنَّ اللَّهَ تعالى جعله "خليفة " كما جعله سلطاناً و قد سمع "سلطان الله "و " جنود الله " و " حزب الله " و " خيل الله " و الإضافة تكون بأدنى ملابسة ، و عدم السّماع لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس ، و لأنّه نكرة تدخله اللّام للتّعريف فيدخله ما يعاقبها ، و هو الإضافة كسائر أسماء الأجناس) ، و يفيد أنَّ الإنسان يكون خليفة الله في أرضه ، و هذه الخلافة تشريفاً للمستخلف من الأنبياء ، و من سار على هديهم من الائمّة و الأولياء و يشهد لهذا المعنى ما أحرجه أحمد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : [[إذا رأيتم الرايات السّود قد جاءت من قبل خراسان فائتوها فإنَّ فيها خليفة الله المهدي]][3] .

و أخرج أيضاً حديث حذيفة بن اليمان و منه : " كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألونه عن أخير و أسأله عن الشّر ، فقلت : يا رسول الله هل بعد الخير شرّ كما كان قبله شرّ؟ قال : نعم قلت : فما اعصمة منه ؟ قال : السّيف قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : " ثمّ تكون هدنة على دخن " قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : " ثمّ تكون دعاة الضّلالة " قال : " فإنْ رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه و إنْ نهك جسمك و أخذ مالك ، فإنْ لم تره فاهرب في الأرض و لو أنْ تموت و أنت عاضٌّ بجذل شجرة .....)[4].

---

[1]- سورة فاطر،الآية 39.

[2]- سورة هود، الآية 57.

[3]-أخرجه أحمد في مسنده برقم 227/5022450.

[4]- أخرجه أحمد في مسنده برقم 470/5023487.

و ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد اخدري عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال :" ما بعث الله من نبيّ و لا استخلف من خليفة ، إلّا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالمعروف و تحضّه عليه ، و بطانة تأمره بالشّرّ و تحضّه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى "[1] .

قال ابن حجر : قوله : " و ما بعث الله من نبيّ و لا استخلف من خليفة " و في رواية صفوان بن سليم " ما بعث الله من نبيّ و لا بعده من خليفة " و الرّواية التّي في الباب تفسّر المراد بهذا ، و أنَّ المراد يبعث الخليفة استخلافه ".

و ثمّة رأي آخر يرفض هذا الرّأي و لا يجيزه ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : المراد بالخليفة أنَّ آدم عليه السّلام خلف من كان قبله من الخلق ، و اخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصّديق خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لأنّه خلفه على أمّته بعد موته ، فالمقصود بها استخلاف النّاس بعضهم بعضاً ، و الله لا يجوز له خليفة و لهذا لما قالوا لأبي بكر : يا خليفة الله قال : لست بخليفة الله ، و لكنّي خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حسبي ذلك ، و الخليفة إنّما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ، و يكون لحاجة المستخلف على الاستخلاف و سمي خليفة ، لأنّه خلف عن الغزو ، و هو قائم خلفه و كلّ هذه المعاني منتفية في حقّ الله تعالى و هو منزّه عنها . و لا يجوز أنْ يكون أحد خلفا منه ، و لا يقوم مقامه ، لأنّه لا سمي له و لا كفء له ، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به [2].

و ما ذهب إليه شيخ الإسلام على جلالة قدره رحمه الله في محلّ نظر (لأنَّ الذّين أجازوا " الخلافة عن الله " لم يجيزوها على أساس موت المستخلف أو غيبته أو عجزه

[1]- رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته برقم 7198.

[2]- ينظر: لنظر الفتاوى لابن تيمية، جمع محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، نسخة مصورة عما طبع في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، 1489ه، 35/42-45.

، و إنّما أجازوها على معنى آخر، و هو ما أشار إليه الرّاغب من أنَّ الخلافة كما تكون بعد المستخلف لغيبته أو لموته أو لعجزه ، كذلك تكون معه لتشريف المستخلف ، و على هذا فما ذهب إليه ابن تيمية من المنع صحيح بالنّسبة للمعاني التّي ذكرها ، و ما ذكره غيره من اجواز إنّما يتأتّى على المعنى الآخر الذّي هو التّشريف ، و الذّي أعقبه الرّاغب بقوله : " و على ذلك استخلف الله أوليّاءه في الأرض " أمّا ما استشهد به ابن تيمية من قول أبي بكر رضي الله عنه فيمكن أنْ يحمل على التّواضع ، لأنَّ أبا بكر لم ينكر على قائل ذلك و لم يقل له بأنَّ هذا شرك ، و إنّما نفى ذلك و استكثره بدليل قوله " حسبي ذلك")[1] .

و قد وردت مواضع كثيرة في سورة البقرة تقدّم فيها الجار و المجرور على المفعول به منها:

قوله سبحانه :[[فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ]] [2]

و قوله تعالى :[[فَأَنْزَلْنَا عَلَى الذِّينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ]][3]

وقوله تعالى :[[فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ]][4]

و قوله تعالى :[[وَ أُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً]][5]

و قوله تعالى :[[اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ]] [6]

و قوله تعالى :[[يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ و لَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ]][7]

و قوله تعالى :[[وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ و أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ و السّلْوَى]][1]

---

[1]- ينظر: الخلافة في الأرض، د/أحمد حسن فرحات (الكويت؛ دار الأرقم، ط1، 1406ه) ص15.
[2]- سورة البقرة الأية 37.
[3]- سورة البقرة الأية 59.
[4]- سورة البقرة الأية 60.
[5]- سورة البقرة الأية 25.
[6]- سورة البقرة الأية 105.
[7]- سورة البقرة الأية 185.

و قوله تعالى : [[إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ و الدَّمْ و لَحْمَ الخِنْزِيرِ و مَا أُهِّلَ بِهِ لِغَيْرِ]][2]

و قوله تعالى : [[و أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً]][3]

و قوله تعالى : [[قَالُوا رَبَّنَا اَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً]][4]

و قوله تعالى :[[رَبَّنَا و َلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذِّينَ من قَبْلِنَا]][5].

[1]- سورة البقرة الأية 57.
[2]- سورة البقرة الأية 173.
[3]- سورة البقرة الأية 22.
[4]- سورة البقرة الأية 250.
[5]- سورة البقرة الأية 286.

الأكيد أنَّ خير الأعمال خواتمها ذلك أنَّ النّهاية تعتبر جزءا أساسيّاً من صلب المذكّرة فهي مرتبطة إرتباطاً عضويا ببدايتها ، حيث ساقني بحثي هذا عضويّاً ببدايتها إلى تسجيل مجموعة من الإستنتاجات أهمّها :

- اهتمام النّحاة لظاهرة التّقديم و التأخير ، حيث استشهدوا ببعض الأمثال العربيّة على تأصيل قواعد النّحو ، إذ عدّها بعضهم من ذوات الرّتب المحفوظة .

- لعلَّ التّقديم و التّأخير على شيوعه في المثل العربي ، يكشف عن أهمية العنصر المتقدّم في تشكيل المعنى المحوري للدّلالة ، و البؤرة الأساسيّة في تكوين المعنى المقصود ، و على الرّغم من أنَّ النّظام النّحوي يعطي مجالاً فسيحاً في إعادة ترتيب عناصر التّركيب ، و لذلك عدّها العلماء من ذوات الرّتب المحفوظة كما عدّوها مسوّغاً من مسوّغات الخروج على الأصل الافتراضي في ترتيب عناصر التّركيب اللّغوي .

- تناول العلماء المحدثون بعض الجهود في ظاهرة التّقديم ووضع بعض القواعد النحويّة و التركيبيّة.

- و قد كشفت الدّراسات أنَّ التّقديم و التّأخير من جهة الأمثال العربيّة تدور في فلك الرّتبة النّحويّة المحفوظة ؛ لأنَّ لها طابعاً تركيبيّاً ارتبط بالمعنى المراد منها ، فأصبحت على النّحو الذّي وصلت عليه إلينا ذات رتبة محفوظة ، فهي إلى الوجوب أقرب منه إلى الجواز ؛ لأنَّ أيُّ تغيّر في ترتيب عناصرها يفقدها قيمتها الدّلاليّة و قيمتها الجماليّة .

- أنَّ التَّقديم في بعض عناصر الجملة و تغيّر موقعها يكسب العنصر المتقدّم وظيفة دلاليّة. زيّادة على وظيفته النّحويّة و لعلّ هذه الوظيفة تتمثّل

في أنَّ العنصر المتقدّم و إن كان فضلة في النّظرية النّحوية إلّا أنّه يصبح أشبه بالعمدة بل أنَّ المعنى لا يقوم إلّا به .

و الله ولي التّوفيق

المراجـــع

القرآن الكريم

1)سورة الفاتحة الآية 05 .

2)سورة البقرة

3)سورة آل عمران، الآية (13-180)

4)سورة النساء (21-23-24-43)

5)سورة الأنعام، الآية 100.

6)سورة الأعراف ، الآية (30-189)

7)سورة هود، الآية(57-88).

8)سورة الإسراء ،الآية 110.

9)سورة الكهف الآية 29.

10) سورة المؤمنون الآية 33 .

11) سورة الشعراء الآية 63.

12) سورة العنكبوت الآية 56 .

13) سورة الروم الآية 09 .

14)سورة سبأ، الآية 28.

15)سورة فاطر، الآية (28-39)

16) سورة يس ، الآية 20 .

17) سورة غافر، الآية (29-81)

18) سورة الشورى، الآية 53.

19) سورة الجاثية ، الآية 21 .

20) سورة محمد، الآية 24.

21) سورة الفتح الآية 29

22) سورة ق، الآية 35.

23) سورة القمر، الآية (07-41-124)

24) سورة التغابن، الآية 1.

25) سورة الحاقة الآية (30 – 31) .

26) سورة المعارج، الآية 34.

27) سورة المزمل، الآية 12.

28) سورة المدثر ، الآية 03 .

29) سورة القيامة، الآية(22-23)

30) سورة النازعات، الآية 26.

31) سورة الضحى، الآية (09-10)

المراجع

1) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا .(1995م)

2) ابن الحاجب ، الإيضاح في شرح المفصل،ج1 ، مطبعة العاني ، بغداد . (1982م) .

3) ابن الحاجب ، الكافية في النحو ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان . (د.ت) .

4) ابن السراج ، الأصول في النحو ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت. (1996م) .

5)ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، المحتسب ، تحقيق مصطفى الحلبي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . . (1954م) .

6)ابن جني ، الخصائص ، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط3.(1986م) .

7)ابن يعيش ، شرح المفصل ،ج1 ، عالم الكتب ، بيروت . (د.ت) .

8)أحمد صقر، أسباب نزول القرآن للواحدي ، دار القبلة، جدة، ط2، 1404ه.

9)أحمد حسن فرحات ،الخلافة في الأرض ، (الكويت ؛ دار الأرقم ، ط1، 1406ه).

10) أبي الحسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، دار الكتاب الإسلامي ، ط2 ، القاهرة ، 1413ه ،1/77-78.

11) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . (1993م) .

12) الأشموني ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك،ج2 ، مكتبة الإيمان ، المنصورة .(د.ت)

13) الأنباري ، أسرار العربية ،ج1 ، مطبعة الترقي ، دمشق . (1957م) .

14) الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ، ط4 ، مطبعة السعادة ، القاهرة . (1961م) .

15) ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، المكتبة العصرية ، بيروت. (1987م) .

16) ابن هشام شرح قطر الندى و بل الصدى ، ط1 مطبعة السعادة ، مصر. (1963م) .

17) ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ج1، دار الفكر. (1994م)

18) إبن عقيل، شرح إبن عقيل، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، الصيدا، 1995م .

19) ابن عطية ، المحرر الوجيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1413ه

20) ابن عبد البر ، بهجة المجالس و أنس المجالس ، ت/محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1402 ه

21) ابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه و سلم برقم 1623 .

22) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، (د.ت)

23) ابن الجوزي ، زاد المسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، (د.ت)

24) ابن تيمية لنظر الفتاوى ، جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ، نسخة مصورة عما طبع في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، 1489ه

25) إبراهيم،أنيس' من أسرار اللغة 'ط3 ، مكتبة الأنجلو المصرية ،(د.ت).

26) التبريزي الخطيب، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، ط4 ، دار المعارف . (د.ت) .

27) الترميذي في سننه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في التشديد عند الموت برقم 978

28) الجامي ، نور الدين . الفوائد الضيائية ، ج1 ، مطبعة وزارة الأوقاف ، الجمهورية العراقية . (1983م) .

29) الجرجاني ، عبدالقاهر دلائل الإعجاز ، ط1 ، مكتبة سعد الدين ، دمشق . (1983م) .

30) الجرجاني عبد القاهر، الإشارات و التنبيهات ، دار نهضة مضر للطبع و النشر ، القاهرة . (د.ت) .

31) حسان تمام ، اللغة العربية معناها و مبناها ،ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . (1979م) .

32) حسان تمام، الأصول ، المغرب ، الدار البيضاء . (1981م) .

33) حسن عباس ، النحو الوافي ، ط1 ، آوند دانش للطباعة و النشر و التوزيع . (2004م) .

34) حسين ،عبدالقادر ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة . . (1998م).

35) حسين بن إبراهيم زهران، تفسير إبن كثير ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406ه

36) الحلبي السمين . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، ط1 ، دار القلم ، دمشق . (1986م) .

37) الخطيب ، عبداللطيف محمد ، ابن يعيش و شرح المفصل ، لجنة التأليف و التعريب و النشر ، الكويت . . (1999م) .

38) الخفاجي ، بن سنان . سر الفصاحة ، ط1 ، مطبعة محمد علي صبيح و أولاده ، ميدان الأزهر . (1969م)

39) الخلفات ، إبراهيم صالح ، الرتبة النحوية في الجملة العربية المعاصرة ، ط1 ، (د . ن) . (2002م) .

40) الرازي ، فخر الدين . نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، دار العلم للملايين . (1985م) .

41) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة ، بيروت . (د.ت)

42) الزمخشري ، ابي القاسم جار الله ، المفصل في صنعة الإعراب ، ط1 ، حققه و علق عليه محمد محمد عبدالمقصود و حسن محمد عبدالمقصود ، تقديم محمود فهمي حجازي ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت .(2001م) .

43) السامرائي فاضل صالح ، معاني النحو ، ط1 ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، الأردن ، عمان .(2000م).

44) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ط1 ، دار الكتب العامية ، بيروت . (1983م) .

45) سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3،(1988م) .

46) السيرافي . (د.ت) شرح الكتاب ، الأميرية .<ج1> دار الكتب العلمية "بيروت لبنان"

47) السيوطي. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع مؤسسة الرسالة ،ج2 ، بيروت ، ط2 ، (1987 م) .

48) السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج4 ،المكتبة التوفيقية ، القاهرة .(د.ت) .

49) الشافعي ، شرح الكافية الشافية ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . (2000م) .

50) الشطناوي مها ، أسلوب التقديم و التأخير بين النحو البلاغة شعر الهذليين نموذجا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، الأردن . (1998م) .

51) صالح قاسم ، الظاهرة النحوية بين الزمخشري و أبي حيان مسائل من البحر المحيط ، رسالة ماجستر غير منشورة ، عمان . (1991م) .

52) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم 809. ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما جاء في آية الكرسي برقم 1460.

53) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، برقم 5009.

54) ضيف شوقي ، تجديد النحو ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة . (د.ت).

55) الطيبي ، التبيان في البيان ، ط1 ، ذات السلاسل للطباعة و النشر ، الكويت . (1986م) .

56) عبدالرحمن ، عفيف . الأمثال العربية القديمة ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، المجلد 3 ، العدد 10 ، جامعة الكويت ، (1983م) .

57) عبد المطلبمحمد ،في البلاغة العربية قراءة أخرى، ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة.1997م.

58) العبيدي، محمد عبد الله، دلالات التراكيب عند يحي لبن حمزة العلوي، مجلة الباحث الجامعي، العدد 10، جامعة آب، مارس 2006م.

59) عتيق ، عبد العزيز ، في البلاغة العربية و علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة و نشر ، بيروت،1984

60) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ط1، دار الإسراء، عمان، 2002م.

61) العسكري، جمهرةالأمثال، ج2 ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ،1983 م.

62) عبد العاطي غريب علي علام ، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين ، ط1 ، الجيل ، بيروت .

63) يحي العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، ج2 ، مطبعة المقتطف ، مصر 1914 .

64) يعقوب ابن إسحاق، أبو يوسف ابن السكيت، إمام في اللغة والأدب وكان عالما بنحو الكوفيين، وعلم القرآن واللغة والشعر، رواية ثقة.

65) القزويني ، الإيضاح فيعلوم البلاغة ، ج1 ، دار الكتاب العالمي ، الدار الإفريقية العربية ، 1989م

66) القرطبيالجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت 1413ه.

67) المبرد ، المقتضب ،ج4 ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، القاهرةٍ ، ط2 ،(1979م)

68) المراغي، أحمد مصطفى والبيان والمعاني والبديع

69) مطلوب أحمد ، بحوث لغوية ، ط1 ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، عمان ، 1989م

70) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998 م .

71) محمود أحمد نحلة ، في البلاغة العربية و علم المعاني ، ط1 ،دار العلوم العربية ، لبنان ، 1990م

72) محمود ياقوت، شرح جمل سيبويه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م

الفهرس

البسملة

كلمة شكر وتقدير

الإهداء

المراجـــع

مقدّمة.....أ

مدخل.....01

الفصل الأوّل: جهود النحويين والبلاغيين في دراسة التّقديم والتّأخير

المبحث الأوّل: جهود النّحويين في دراسة التّقديم والتّأخير

1/1 النّحويون القدامى

.....05

2/1 النّحويون المحدثون

.....10

المبحث الثّاني: جهود البلاغيين في دراسة التّقديم والتّأخير

1/1البلاغيون القدامى .....

15

2/1البلاغيون المحدثين .....

19

الفصل الثّاني: مظاهر التّقديم والتّأخير

المبحث الأوّل: مظاهر التّقديم والتّأخير في باب المرفوعات

1/1تقديم خبر المبتدأ.....**23**

2/1تقديم خبر " إنَّ " وأخواتها

.....37

المبحث الثّاني: مظاهر التّقديم والتّأخير في باب المنصوبات

1/1تقديم المفعول به

.....40

أ -تقديم المفعول به على الفاعل 40

ب- تقديم المفعول به على الفعل 49

2/1تقديم الحال 53

أ -تقديم الحال على صاحبها 54

ب-تقديم الحال على عاملها 57

المبحث الثّالث: مظاهر التّقديم والتّأخير في المجرورات

1/1تقديم شبه الجملة 60

-

1الأهمية.....61

2-رعاية حسن نظم.....62

3-التعظيم أو التحقير أو لتعجيل المسرة أو المساءة.....62

الفصل الثّالث: التّقديم والتّأخير في سورة البقرة

المبحث الأوّل: لمحة حول سورة البقرة

المراجـــع

أوّلاً: بين يدي السّورة
.....**67**
ثانيّاً: فضائل
السّورة.....**68**
أ-ما ورد في فضلها بوجه عام
.....**68**
ب-ما ورد في فضل آيات منها
.....**68**
1- فضل آية الكرسي
.....**68**
2- فضل خواتم سورة البقرة
.....**69**
ثالثاً: مناسبة السّورة لما
قبلها.....**69**
المبحث الثّاني: تقديم بعض المتعلّقات على بعض
أوّلاً: المنصوبات
أ-تقديم المفعول على الفاعل
.....**70**
ب-تقديم المفعول الأوّل على الفاعل
.....**73**
ج- تقديم المفعول الثّاني على الأوّل
.....**77.**

د- تقديم الظّرف على نائب الفاعل

.....**80**.

ثانيّاً: المجرورات

أ/ تقديم الجار والمجرور على الفاعل

.....**83**

ب/ تقديم الجار والمجرور على المفعول به.....**88**

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس